مختار فى أعماق البحار

تأليف

د / على راشد

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

الإدارة : ٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر

ت : ٢٦٣٨٦٨٤ ـ فاكس : ٢٦١٩٠٤٩

٨١٣,٠٨٧ على راشد.
ع ل م خ مختار فى أعماق البحار / تأليف على راشد . ـ
القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٦ .
١٠٣ ص : ٥ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك : ٠ ـ ٠٧٧٥ ـ ١٠ ـ ٩٧٧ .
١ ـ القصص العربية. أ ـ العنوان.

إخراج فنى : مها علاء حسين

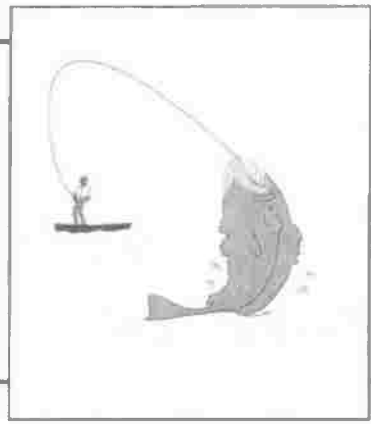

الفصل الأول

مختار يواجه البحر

عم صالح رجل صياد اعتاد أن يقوم فى الصباح الباكر كل يوم ليؤدى ماعليه من صلاة لرب العالمين ثم يأخذ شبكة الصيد ويركب قاربه ويذهب إلى عرض البحر داعياً الله سبحانه وتعالى أن يرزقه بصيد وفير ليبيعه ويتعّيش بثمنه وابنه الوحيد مختار البالغ من العمر اثنتى عشرة سنة والذى فقد أمه وهو ما زال طفلاً صغيراً. وكثيراً ما كان مختار يذهب فى الصباح الباكر مع أبيه إلى البحر ليتعلم منه فنون صيد السمك. وأيضا ليساعده على قدر استطاعته.

وفى أحد الأيام حاول عم صالح أن ينهض من سريره كعادته فى الصباح الباكر لكنه لم يستطع فقد أحس بأعراض الحمى والمرض تتمكن منه... وتمتم عم صالح يدعو ربه أن يعطيه القوة ليتمكن من الذهاب إلى البحر ليصطاد السمك واستجمع قواه مرة أخرى وحاول النهوض من الفراش ولكن المرض كان قد تمكن منه وإذا برعشة شديدة تسرى فى جسده تجعله ينكمش فى سريره ويشد الغطاء على هذا الجسد المحموم. وبصوت واهن ضعيف تتملكه رعشة المرض نادى على ابنه يوقظه..

- مختار ... مختار يا ولدى..

فاستيقظ مختار من نومه ورد على والده.

- نعم يا أبى..

- قم يامختار فقد حان وقت الصباح..

ـ سمعاً وطاعة . . صباح الخير يا أبى . .

ورد الأب بصوت ضعيف واهن من شدة المرض :

ـ صباح الخير يا مختار يا ولدى . .

وهنا بدت مشاعر الحيرة والقلق على وجه مختار من صوت أبيه الضعيف الواهن وهو الذى كان يوقظه وهو مستعد للخروج إلى البحر بصوت قوى مستبشر وبكلمات مرحة طيبة . . فقال مختار لأبيه فى قلق وهو يقوم من سريره .

ـ خير يا أبت . . مالى أشعر بالضعف فى صوتك ؟ ولماذا لم تقم وتستعد للذهاب إلى البحر كعادتك ؟

فرد الأب بنفس الصوت الضعيف الواهن :

ـ إنها الحمى يا ولدى . . إنى أشعر بالحمى وهى تدب فى بدنى ولن أستطيع أن أذهب إلى البحر اليوم . .

وضع مختار يده على جبين أبيه فشعر بسخونة شديدة تدل على أن المرض اللعين بدأ فى الزحف على جسم أبيه . . وبسرعة أخذ مختار يفكر فى حَل لهذه المشكلة . . إن والده مريض بالفعل ولن يقدر على الذهاب للبحر اليوم ليصطاد . . وهما يعيشان على الرزق الذى ينعم به الله تعالى عليهما من صيد السمك يوماً بيوم . . وحيث إنه لن يكون هناك اليوم صيد فلن يكون هناك مالُ يعيشان يومهما منه وكذلك ليشترى منه الدواء لأبيه . . وهنا جاء الحل المناسب لهذه المشكلة وهو أن يذهب هو إلى البحر ليصطاد رغم أنه لم يذهب للبحر بمفرده قط قبل الآن . .

وهنا قال عم صالح لابنه مختار :

ـ فيم تفكر يا ولدى . . ؟

فرد مختار فى ثقة :

ـ لا عليك يا أبى . . سأذهب أنا إلى البحر اليوم . .

فقال له أبوه وهو مشفق عليه :

ـ ولكنك لم تذهب إلى البحر بمفردك قبل الآن . . ثم إن الشبكة ثقيلة عليك ياولدى . .

فرد مختار بحماس وجدية وهو مدرك حجم المسئولية التى ألقيت على عاتقه:

ـ الشبكة فى طرحها سهلة. .أما فى لمهّا فسوف أستخدم بكرة الملفاف إذا رزقنا الله بصيد وفير. .

وفى خوف الأب على ولده وبصوت أكثر ضعفًا ووهنًا قال الأب :

ـ ولكنى أخشى عليك من البحر وأمواجه. .

فقال مختار فى ثقة وإيمان :

ـ لا تخش شيئًا يا أبتى. .إن الله معنا. . وسأدعو الله أن يرزقنا بصيد وفير كى أحضر لك الدواء الذى سيزيل عنك هذا المرض بإذن الله تعالى.

فابتسم عم صالح ابتسامة شاحبة رغم الحمى التى أصابت جسمه وحمد الله فى سره لأن الله قد رزقه بابن طيب صالح يعوضه به عن أمه التى فقدها منذ سنوات. . وقال لولده مختار بنفس الصوت الضعيف الواهن :

ـ سر على بركة الله يا ولدى. .يرعاك الله ويحفظك من كل شر. .

قال الأب المريض هذه الكلمات وبعدها زادت عليه شدة المرض فأغمض عينيه وراح فى نوم عميق. .

وقام مختار من رقدته وبعد أن توضأ وصلى صلاة الفجر دعا ربه أن يشفى والده المريض. .ثم بدأ يستعد للخروج إلى البحر وحمل معه كل ما يحتاجه فى هذا اليوم من طعام وشراب وشبكة الصيد. .ثم نظر ناحية أبيه المريض النائم من شدة الحمى نظرة إشفاق وقلق وأمل فى أن يجده عند عودته صحيحا معافًى.

وخرج مختار من البيت الصغير وهو يحمل حاجاته واستقبلته نسائم الفجر الندية وكأنها ترحب بهذا الصبى المؤمن المجتهد المكافح. .واستقبل مختار أيضا هذه النسمات الندية اللطيفة بالدعاء لله عز وجل كما علمه أبوه فقال يناجى ربه :

«أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. .اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه. .اللهم بك سرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت. .اللهم ارزقنى رزقًا حلالاً طيباً يارب العالمين».

وسار مختار ناحية البحر وهو يحمل فى نفسه بعض القلق لمرض أبيه ولأنها أول مرة يذهب إلى البحر بمفرده فقد كان دائماً بصحبة أبيه. . وأيضاً يحمل فى نفسه تفاؤلاً بأنه سوف يرزق بصيد وفير يعود به ويبيعه ويشترى الدواء لأبيه. .

ووصل مختار إلى مكان قارب الصيد الذى يمتلكه أبوه فوضع فيه حاجاته وشبكة الصيد وثبّت الحبل الذى فى نهاية طرفها فى عمود بكرة الملفاف ليسهل عليه إخراجها من البحر ورفع الهلب الحديدى الذى يثبت القارب فى ماء البحر فلا يجعل الأمواج تتفاذفه بعيداً. . وأخذ مختار يحرك مجدافى القارب بصعوبة حتى يأخذ القارب طريقه داخل البحر. . وفعلاً بدأ القارب يأخذ مختار بعيداً عن الشاطئ ويتجه إلى داخل البحر. . إنها المرة الأولى التى يواجه فيها مختار البحر بمفرده. .

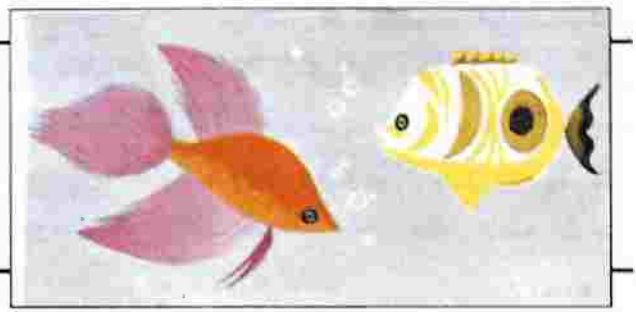

الفصل الثانى
مختار وجولنار

وعندما توغل مختار وقاربه فى البحر قام وألقى شبكةالصيد فى المياه وانتظر بعض الوقت حيث إن صيد السمك يحتاج إلى الصبر. .وعندما أدار مختار يد بكرة الملفاف خرجت الشبكة وليس بها سمكة واحدة. .وكرر مختار المحاولات وفى أماكن مختلفة ولكنه لم يفز بأية سمكة. .وبدأ الوقت يمر والساعات تمضى ولم يستطع مختار أن يصيد شيئاً، وكلما دار فى فكر مختار أنه سيعود إلى أبيه المريض دون صيد أصابه الحزن واليأس ثم يتغلب الأمل على اليأس فيحاول مختار مرة تلو المرة وأخذ يتقدم داخل البحر أكثر فأكثر حتى اختفى الشاطئ نهائياً وأصبح ماء البحر يحيط بقارب مختار من جميع الجهات. .هنا شعر مختار بخوف وخيبة أمل معًا وقرر أن تكون رمية الشبكة التالية هى آخر محاولة للصيد فى هذا اليوم يعود بعدها إلى البر. .وفعلاً أمسك مختار بالشبكة وألقاها فى البحر وهو يصيح : بسم الله الرازق فى البر والبحر. .

وما هى إلا لحظات حتى أحس مختار باهتزاز فى الشبكة دليلاً على أنها أصابت صيداً كبيراً. .فتهللت أسارير الصبى المؤمن المكافح وابتسم وهو يتمتم فى فرح وسرور : الحمد لله. .الحمد لله. .

وأخذ مختار يدير يد بكرة الملفاف ليخرج الشبكة لكن الصيد كان ثقيلاً، وهنا أيقن مختار أن ما اصطاده نوع من السمك الكبير الحجم. .وظل مختار فى محاولاته لإدارة يد بكرة الملفاف بكل ماأوتى من قوة لكن المقاومة شديدة. .فتوقف قليلاً كى يلتقط أنفاسه. .ثم استعان بالله. .وأخذ يدير الملفاف بكل قوته. .وبدأت

الشبكة تخرج من ماء البحر وظهر معها ما اصطاده مختار. إنه نوع من السمك الكبير أسود اللون غريب الشكل فله أيد وأرجل مثل الإنسان ورأسه غريبة الشكل ليست كما هو المعتاد فى رأس السمك. كما أنه ليس له زعانف أو ذيل.. وشعر مختار بخوف شديد. وفكر أن يقطع حبل الشبكة ويلقى بها وبما فيها ويهرب إلى البر بأقصى سرعة. ولكنه تمالك نفسه ولم يترك الخوف يقود تصرفاته فقام بتثبيت حبل الشبكة جيداً فى القارب وأخذ يجدف بقوة محاولاً أن يصل بصيده إلى البر. وعقدت الدهشه لسانه ورسم الخوف تعبيراته على وجهه عندما سمع صوت أنين صادرا من السمكة الغريبة وهى تتوجع وتصيح قائله :

ـ آه.. آه.. أرجوك.. اتركنى..

ولم يصدق مختار ما سمعه وظن أنه توهم سماع هذا الصوت وأخذ يضرب بمجدافى القارب فى الماء بكل قوته وقد أمده الخوف بطاقة وقوة لم يعهدها فى نفسه من قبل ولكنه ما لبث أن عاد وسمع نفس الصوت من هذا الصيد الغريب الشكل ولكن بوضوح فى هذه المرة..

ـ آه.. آه.. أرجوك.. اتركنى.. أرجوك لا تؤذنى..

هنا اشتد وقع الخوف على مختار حتى كاد أن يغمى عليه وزادت ضربات قلبه فى السرعة والشدة حتى ظن أن قلبه سينطلق خارجاً من صدره. ومع كل هذا استجمع مختار البقية الباقية من شجاعته ونظر ناحية الصيد الغريب فكاد أن يصعق عندما وجد يد هذا الصيد العجيب تمتد لترفع قناعاً من على رأسه وإذا بفتاة صغيرة جميلة الوجه وشعرها أسود طويل متعلقة بالشبكة وفى يدها قناع الغوص التى كانت ترتديه على رأسها. وعلى ظهرها بدت أسطوانة حديدية صغيرة لاستنشاق الأكسجين. هنا أدرك مختار أنه لم يصطد سمكة كبيرة بل اصطاد فتاة صغيرة. وتأمل مختار الفتاة فى خوف وحذر فوجدها رغم حالة الألم والانزعاج التى تبدو عليها إلا أن جمال منظرها يوحى لمن يراها أنها أميرة من الأميرات التى سمع عنهن فى القصص الخيالية التى كان أبوه يقصها عليه فى الأمسيات الهادئة. وتزاحمت الأسئلة على فكر مختار. كيف تعيش هذه الفتاة الصغيرة فى أعماق البحر ؟ وما سرها ؟ وهل هى من بنى الإنسان أم هى عروسة البحر التى كان يسمع عنها فى حكايات أهل بلدته ؟

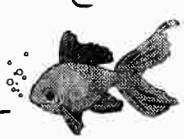

ونظر مختـار إلى هذه الفتاة العجيبـة فوجد الدموع فى عينيـها والرجاء فى نظراتها وهى ما زالت تردد بصوت واضح ،مفهوم تماماً :

ـ أرجوك . . اتركنى . . أرجوك لا تؤذنى . .

ومرة أخرى استجمع مختار كل شجاعته وقال للفتاة متسائلاً :

ـ من أنتِ ؟

فردت الفتاة وقد بدا لها أمل فى النجاة :

ـ أنا . . جولنار . .

فصاح مختار فى دهشة وقد بدأ الاطمئنان يسرى فى قلبه وفى صوته :

ـ جولنار . . !!

فأكملت الفتاة كلامها بصوت أقل قلقاً وأكثر أملاً :

ـ نعم جولنار . . جولنار بنت أمير البحار . .

وبنفس الدهشة والاستعجاب صاح مختار :

ـ جولنار بنت أمير البحار . .

فهزت الفتـاة رأسها الجميل بالإيجاب وقالت : نعـم . . أنا جولنار بنت أمير البحار . .

فأسرع مختار متسائلاً وهو ما زال لا يصدق ما يرى :

ـ وهل أنتِ من بنى الإنسان . . أم أنتِ من عائلة عرائس البحر؟

فابتسمت جـولنار من هذا السؤال وزادتها الابتسامة إشراقـاً وجمالاً وقالت لمختار وهى تطمئنه :

ـ أنا إنسانة مثلك تماماً . .

وفى فضول ودهشة وإعجاب بهذه الفتاة الجميلة قال مختار :

ـ إنسانة مثلى !! كيف تعيشين فى البحر مثل السمك؟

فقالت جولنار وهى تحاول استخدام فضول مختار :

ـ أخرجنى أولاً من الماء وانزع عنى خيوط هذه الـشبكة اللّعينة وأنا أقول لك كل ما تريد أن تعرفه عنى . .

وأخذ مختار يفكر سريعاً. .هل يخرجها من البحر وينزع عنها شبكة الصيد؟ أم لا؟ فقد تكون هذه حيلة وخدعة يأتى بعدها الخطر والعواقب الوخيمة. . لكن لا شكلها الجميل ولا صوتها العذب الرقيق ينبئان بأن الخطر أو العواقب الوخيمة يمكن أن تأتى من هذه الفتاة. .وبناء على ذلك قام مختار. .وهو مازال يأخذ حذره. .وتوكل على الله ورفع الشبكة بالملفاف حتى صارت داخل القارب ثم قام ونزع عنها خيوط شبكة الصيد فخرجت جولنار منها وابتسامة جميلة تشرق على وجهها وتعبير بالامتنان والعرفان بالجميل يبدو من خلال عينيها. .ومدت يدها لتصافح مختار قائلة :

ـ شكراً لك يا. . . . .من فضلك ما اسمك؟

ـ أنا مختار. .مختار بن الشيخ صالح صائد السمك. .

ـ شكراً لك يا مختار. .

وابتسم مختار ابتسامة أشرق لها وجهه الوسيم بعد أن ذهبت عنه مظاهر الخوف والفزع، وقال للفتاة :

ـ العفو يا جولنار يا بنت أمير البحار. .والآن بعد أن نفذت وعدى وأخرجتك من شبكة الصيد. .نفذى أنتِ وعدكِ واحكى لى كيف تعيشين فى البحر مثل السمك رغم أنك إنسانة مثلى ؟

تنهدت جولنار وأصبحت تشعر بكل الأمان مع مختار ثم قالت فى رقة وعذوبة :

ـ حسنًا يا مختار. .سأنفذ ما وعدتك به. .لأن وعد الحر دين عليه. .

وأخذت الفتاة نفسًا عميقاً من هواء البحر النقى العليل واستعدت لتقص قصتها وقصة أهلها سكان أعماق البحار لهذا الصبى ذى الوجه المشرق الجميل وذى الصوت الرنان الصادق. .قالت جولنار وعيونها الجميلة تتجه ناحية التقاء السماء بالبحر على امتداد بصرها :

ـ كان جدى الأكبر. .كندهار البحار. .يعيش هو وزوجته وأولاده فى إحدى البلاد البعيدة والتى كانت تطل على بحر الشمال. .وكان جدى الأكبر يعمل بحاراً مع أحد علماء البحار يدعى. .العالم أفكيار. .وكان كندهار البحار يذهب فى

رحلات بحرية مع العالم أفكيار لاكتشاف أسرار البحار. .ولمعرفة طبيعة الحياة وطبيعة الكائنات الحية فى أعماق البحار. .

وهنا. .تساءل مختار فى دهشة وهو سعيد ومستمتع بهذه القصة الجميلة من هذه الفتاة الرائعة:

ـ وكيف كانوا يجوبون أعماق البحار فى هذا الزمن القديم .

فردت جولنار :

ـ كان العالم أفكيار من العلماء المخترعين. .غزير العلم. .كثير الاختراع لأجهزة متنوعة فى مجالات كثيرة. .ولقد استطاع أن يصنع غواصة بدائية تسير فى البحار وتغوص فى أعماقها لأيام طويلة هو وجدى الأكبر كندهار وبعض البحارة الآخرين. .

ـ واستطاع العالم أفكيار أن يطوّر الغواصة البدائية ويصنع غواصة ضخمة يمكن لها أن تحمل عدداً كبيراً جداً من الأفراد ومعهم متطلبات حياتهم من مأكل ومشرب وملبس ليستطيعوا أن يظلوا فى أعماق البحار شهوراً طويلة. .

وفى تعجب ولهفة تساءل مختار :

ـ وكيف كانت تسير هذه المدينة الصغيرة فى أعماق البحار ؟ وأى طاقة تلك التى تحركها كل هذه الشهور فى هذه الأعماق ؟

فردت جولنار سعيدة بذكاء مختار :

ـ كانت هذه الغواصة الضخمة ـ أو كما تسميها أنت المدينة الصغيرة ـ تسير بواسطة مادة مشعة محفوظة داخل صندوق مصنوع من الرصاص. .وتستطيع هذه المادة المشعة أن تسيّر الغواصة الضخمة بكل ما بداخلها لعشرات السنين. .

وفتح مختار فاه من الدهشة قائلاً:

ـ لعشرات السنين!! ـ نعم لعشرات السنين. .

ـ أى مادة هذه التى تجعل مثل تلك الغواصة الضخمة تتحرك لعشرات السنين وهى فى صندوق مصنوع من الرصاص؟ وما أصل الطاقة التى تدور بها تلك الغراصة لتحركها طوال هذه المدة الزمنية؟

ـ إنها الطاقة النووية . .

وصاح مختار مندهشاً:

ـ الطاقة النووية . .

وردت جولنار:

ـ نعم الطاقة النووية . .فلقد اكتشف العالم الكبير أفكيار مادة مشعة واستطاع أن يستخلص منهـا طاقة ضخمة لأول مرة فى الـتاريخ وهى الطاقة النووية . . ولم يكن أحد يعـرف سر هذه المادة وتلك الطاقـة سوى العالـم أفكيار وجدى الأكـبر كندهار البحار . .ولقد أعلن حاكم بلديهـما الحرب على إحدى البلاد المجاورة لأنه كان يمـيل للعـدوان والقتل والنهب والسلب . .ولا يقيم وزنا للعـهود والمواثيق مع حكام البلاد المجاورة . .وأراد هذا الحـاكم الطاغية أن يأخذ الغواصة الضـخمة من صاحبها العـالم أفكيار كى يستخدمها فى حروبه واعـتداءاته، فأبى أفكيار ورفض بشدة أن يعطى ثمـرة علمه وجـهده كى تستـخدم فى قتل البـشر وهو الذى وهب نفسه وعلمه لخدمة البشر ومنفعتهم، فأمر الحاكم الظالم جنوده بالقبض على العالم أفكيار، وعندمـا أحاط الجنود ببيت العالم وأدرك أنه هالك لا مـحالة أرسل عن طريق جهاز لاسلكى كان قد اخترعه رسالة إلى جدى الأكبر كندهار البحار وضّح فيها أن جنود الطاغـية جاءوا للقبض عليه فاسرع أنت وأسـرتك للهرب بالغواصة قبل أن يقبض الجنود عليك ويستولى هذا الحاكم الظالم عليها . وفعلا هرب جدى الأكبر كندهار البحار هو وزوجته وأولاده بالـغواصة الضخمة . وعلم بعد ذلك أن الحاكم الطاغية قتل العالم أفكيار فحزن عليه حزنا شديدا وعزم فى إصرار ألاّ يعود إلى بلاده مـرة أخرى، وأن يعـيش هو وزوجـته وأولاده وكـذلك بعض البحـارة المقربين إليـه وأسرهم فى الغواصة الـضخمة فى أعـماق البحار ولا يصـعدوا إلى سطح البحار إلا عندما يحتاجون إلى أشياء حيوية فى حياتهم لا يستطيعون تدبيرها بأنفسـهم بطريقة أو بأخرى فـيتجـهون إلى شاطئ إحـدى البلاد خفـية وبدون أن يشعـربهم أحد ويشـترون ما يـحتاجـون فى مقـابل بعض الأحجار الكريـمة التى يحصلون عليـها من أعماق البحـار ثم يعودون مرة أخرى إلى الغـوص فى البحار بغواصتهم الضخمة .

الفصل الثالث

حنطور البحر

استمع مختار إلى جولنار بنت أمير البحار وقصة جدها الأكبر كندهار وكأنه يستمع إلى إحدى الحكايات الخيالية التى كان يحب أن يستمع إليها من بعض أهالى بلدته. . وصدّق كل كلمة قالتها جولنار. . فمن يستمع إلى هذه الفتاة الرائعة لايمتلك إلاّ أن يصدقها فيما تقول. . وفي فضول وحب استطلاع أكمل مختار تساؤلاته لجولنار فقال:

ـ وهل استمر الحال على ذلك. . جدك الأكبر وأسرته ومعه بعض البحارة وأسرهم في العيش داخل الغواصة الضخمة تحت الماء؟

ـ بالطبع لا. . فمع مرور الزمن كبر الأبناء وأصبحوا فى سن الزواج. . فتزاوج فتيان الغواصة وشبابها من فتياتها وعرائسها. . وتكونت أسر جديدة وزاد عدد سكان الغواصة، فشرعوا فى بناء غواصات أخرى كبيرة وأيضا قاموا ببناء مدن صغيرة ثابتة فى أعماق البحار وذلك فى أماكن عدة من البحار.

ـ وكيف كان يتم البناء ؟ وبأى المواد كانت تقام هذه الغواصات وتلك المدن؟

ـ أسس بناء الغواصات والمدن تم تعلمها من علوم الهندسة والطاقة التى كان يجيدها جدى الأكبر كندهار وأولاده وأحفاده. . أما عن مواد البناء فقد كانوا يجوبون أعماق البحار ويحصلون على حطام السفن الغارقة ويستخدمونها فى البناء، كما كانوا يجدون بين هذا الحطام كنوزاً عظيمة غرقت مع أصحابها لسبب أو لآخر فاستعانوا بها فى بناء المدن وشراء ما كانوا يحتاجونه من مؤن وأدوات

وأجهزة وخاصة أجهزة الغوص دون أن يشعر إنسان فى أى بلد يذهبون إليه بحقيقة أمرهم أو أسلوب معيشتهم..

ـ وأين كان يتم بناء مثل هذه الغواصات وتلك المدن..؟

ـ هناك جزيرة فى وسط البحر الكبير لا يعرفها أحد سوانا، وهى مليئة بالأشجار والزرع والمياه العذبة وجميع أنواع الطيور والحيوانات المفيدة للإنسان.. ونحن نستخدم هذه الجزيرة فى الحصول على ما نحتاجه من فواكه وخضراوات وألبان ومنتجاتها، وأيضاً أقمنا على شاطئ هذه الجزيرة ورشة ضخمة تحوى الصّناع المهرة لبناء الغواصات والمساكن التى يصلح إقامتها وتثبيتها فى قاع البحار لتكون مدناً صغيرة..

ـ وما اسم هذه الجزيرة ؟

ـ اسمها جزيرة كندهار وهو اسم جدى الأكبر مؤسس مملكة تحت البحار.. وبمرور الزمن وانقضاء الأعوام صار لمملكتنا تحت البحار عشرات المدن فى أماكن متعددة.. يتم الانتقال بينها وكذلك الذهاب والعودة إليها من جزيرة كندهار بغواصات ضخمة تسير بالطاقة النووية..

ما أن انتهت جولنار من كلامها حتى صرخ مختار صرخة فزع عالية من هول المفاجأة.. فقد انشق ماء البحر فجأة وظهر بجوار القارب الصغير سمكة ضخمة جداً وغريبة الشكل تصدر صوتاً حاداً عالياً مما جعل القارب الذى يحمل مختار وجولنار يهتز بشدة حتى كاد أن ينقلب بهما واجتاحت القارب موجة هائلة من الماء نتيجة لذلك.. ثم اختفت السمكة الضخمة جداً والغريبة الشكل فى ماء البحر بسرعة كما ظهرت بسرعة.. وارتسمت على ملامح مختار علامات الخوف والفزع ونظر إلى جولنار ليطمئن عليها فوجدها تضحك فى سعادة.. فنظر إليها مختار نظرات كلها دهشة وتعجب لأنها لم تخف من هذه السمكة الضخمة ذات الصوت المفزع وقال لها وهو مبتل تماماً بماء البحر :

ـ جولنار.. أراك تضحكين.. ألم تفزعى من هذه السمكة الضخمة الكبيرة المرعبة؟

فزادت جولنار من ضحكتها وسعادتها وقالت:

ـ لا تخف يا مختار.. ولا تفزع.. إنه صديق عمرى.. كونيور..

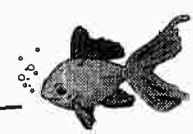

واتسعت عينا مختار من الدهشة وصاح:

ـ كونيور..

فردت جولنار والابتسامة مع قطرات الماء تجمّل وجهها:

ـ نعم كونيور.. صديقى الدرفيل.. فعندما بحث عنى وافتقدنى لم يهدأ له بال حتى عثر على مكانى ورآنى معك فى القارب..

فقال مختار:

ـ وهل يمكن أن يشكل كونيور هذا خطراً بالنسبة لى؟

فقالت جولنار وهى تؤكد لمختار بصوتها وتعبيرات وجهها:

ـ مطلقا يا مختار مطلقاً.. كونيور ليس صديق عمرى فحسب لكنه صديق كل إنسان أى إنسان.. لا يصيبه بأى أذى.. ويساعده عندما يحتاج إلى مساعدة..

ـ ووقفت جولنار فى القارب

بجوار مختار ونادت بأعلى صوتها:

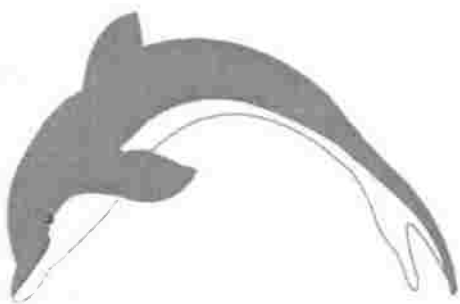

ـ كونيور.. أرتباد.. كونيور

.. أرتباد

وسرعان ما انشق ماء البحر

وظهر الدرفيل كونيور بجوار القارب

... أخذت جولنار تمسح بيدها

الصغيرة على رأس الدرفيل الكبير.. وقالت وهى سعيدة بصديق عمرها:

ـ كونيور.. برساد.. برساد.. برساد..

وسمع مختار وهو مازال خائفاً من الدرفيل كلمات جولنار الغريبة فصاح:

ـ ما معنى ما تقولين يا جولنار؟ ارتباد.. برساد..!!

فردت جولنار على مختار تفهمه معنى هذه الكلمات:

ـ هذه الكلمات الغريبة عليك يا مختار أتفاهم بها مع كونيور..

واشتد تعجب مختار واتسعت عيناه دليل الدهشة وقال:

ـ أيمكن أن تتحدثين مع هذا الدرفيل يا جولنار..؟ وردت جولنار:

ـ أنا لا أتحدث فقط مع كونيور..بل أتحدث مع كل أسماك البحر وحيواناته..ولكل نوع منها لغته الخاصة به..

ـ وكيف تعلمت ذلك؟

ـ فى المدرسة.

وصاح مختار: أتوجد مدرسة تحت الماء؟

ـ نعم مثلما توجد فى كل بلاد العالم..

ـ وما معنى ما قلته للدرفيل كونيور..أرتباد..برساد..؟

ـ أرتباد تعنى لكنيور..تعال..أما..برساد فتعنى صديق..أى أنه آمن مع صديق ولن يصيبه بأى أذى..

وفى هذه اللحظة اختفى الدرفيل كونيور فى الماء..فقالت جولنار:

ـ هيا يا مختار..هيا وتشجع وناد على كونيور..

وفى تردد يشوبه الخوف والحذر صاح مختار وكأنه يكتشف عالماً جديداً لأول مرة فى حياته:

ـ كونيور..أرتباد..كونيور..أرتباد..

وإذا بماء البحر ينشق ويظهر الدرفيل كونيور بجوار القارب ومدَّ رأسه ناحية مختار..وتردد مختار فى أن يضع يده على رأس كونيور..فشجعته جولنار قائلة: امسح على رأسه يا مختار ولا تخف..

وتشجع مختار بكلمات جولنار ومد يده إلى رأس الدرفيل ومسح عليها بعطف قائلاً:

ـ كونيور . . برساد . . برساد . . برساد . .

فأخذ الدرفيل يصدر صغيراً متكرراً . . فقالت جولنار :

ـ إنه يرحب بك صديقاً جديداً يا مختار . .

وفى سعادة لا توصف استمر مختار يمسح على رأس كونيور وقد زال عنه الخوف تماماً وظل يردد ـ برساد . . برساد . . برساد . .

والدرفيل يكرر الصفير . . ثم ابتعد كونيور عن القارب وأخذ يقفز فى الهواء ثم يعود ليسبح على سطح الماء بظهره فى حركات رشيقة أشبه بالرقص ويغوص فى الماء ويمر أسفل القارب ويظهر من الجانب الآخر بنفس تلك الحركات الرشيقة . فقالت جولنار سعيدة : إن كونيور سعيد للغاية بصداقتك يا مختار وهو الآن يرقص رقصة الترحيب بك . .

وكانت سعادة مختار بهذه الصداقة التى صارت بينه وبين الدرفيل كونيور لا توصف ، وأخذ يصفق بحرارة لهذا الدرفيل الرائع كلما أتى بحركة من حركاته الجميلة فى الماء ومع التصفيق الحار كان مختار يردد بأعلى صوته :

ـ كونيور . . برساد . . برساد . . برساد

وكلما سمع الدرفيل هذه الصيحات ازداد فى حركاته الرشيقة الجميلة الممتعة . .

وفجأة صدرت من مختار شهقة عالية أتبعتها صيحة فزع عالية . . وتبدلت فوراً مشاعر الفرحة والسرور وحل محلها مشاعر الخوف والفزع فلقد انشق ماء البحر حول القارب من جميع الجهات وظهرت مجموعة كبيرة من الغواصين وهم يرتدون ملابس الغوص السوداء وعلى ظهورهم أسطوانات الأكسجين وفى أيديهم البنادق المخيفة والمصوبة ناحية مختار . . وبسرعة أدركت جولنار سبب هذه الشهقة العالية وتلك الصرخة المفزعة لمختار . . وهدأت من روعه قائلة :

ـ لا تخف يا مختار . . لا تخف إنهم من أهلى وعشيرتى . .

وفى تلك اللحظة نزع أفراد المجموعة من الغواصين أقنعتهم فبدوا لمختار مجموعة من الشباب والفتيات . . صاح قائدهم :

ـ سمو الأميرة جولنار. . هل أنت بخير؟

فقالت جولنار :

ـ نعم. . نعم يا مرداس يا كبير الحراس. .

وبنفس الاحترام والجدية صاح مرداس كبير الحراس مشيراً إلى مختار:

ـ وماذا عن هذا ؟ عدو أم صديق ؟

ـ صديق. . صديق يا مرداس. . إنه صديقى مختار. .

هنا تهلل وجه مرداس ومن معه من الحراس وتعالت أصواتهم بحمد الله تعالى على سلامة أميرتهم الصغيرة جولنار بنت أمير البحار. . وسمع مختار صيحاتهم:

ـ الحمد لله. . الحمد لله على سلامة الأميرة جولنار. . الحمد لله. .

فقالت جولنار لهم:

ـ شكراً يا مرداس. . شكرا يا أيها الحراس. .

ثم التفتت إلى مختار مبتسمة وقالت:

ـ هؤلاء مجموعة من حرس مدينتنا جاءوا ليبحثوا عنى لأننى عندما وجدت نفسى محاطة بخيوط هذه الشبكة اللعينة أرسلت لهم عبر جهاز استغاثة لاسلكى خاص بى إشارات استغاثة هى : سر. . سيِ. . دو. . . سر. . سيِ. . دو وتعنى أنقذونيِ. .

فسمع مختار صوت الجهاز وهو يعطى إشارات : سر. . سيِ. . دو. . . سر. . سيِ. . دو.

وأكملت جولنار:

ـ وتصل هذه الاستغاثة لكل حراس المدينة ويستطيعون أن يحددوا بأجهزة استقبال لاسلكية لديهم مكان إصدار الاستغاثة ويهرعوا لنجدة من يستغيث بهم.

فقال مختار وقد زال عنه الرعب والفزع:

ـ وهل كل فرد فى مدينتكم يحمل جهازاً لاسلكياً للاستغاثة به وقت الحاجة. . ؟

فقالت جولنار :

ـ بالطبع نعم. .فكل فرد فى مدينتنا فى أثناء تحركه تحت الأعماق يمكن أن يتعرض لخطر مّا وخاصة عندما يكون بمفرده عندئذ يرسل إشارات الاستغاثة : سر. .سيِ. .دو. .فيجد حراس أمن المدينة فى نجدته فوراً. .

فقال مرداس كبير الحراس:

ـ سمو الأميرة جولنار. .هيا معنا ليطمئن على سلامتك مولاى أمير البحار. .

فقالت جولنار:

ـ نعم. .نعم سأذهب معكم (والتفتت إلى مختار) هيا يا مختار هيا معنا لتقابل أبى أمير البحار. .

وفتح مختار فاه واتسعت عيناه وصاح فى دهشة وتعجب :

ـ أنا. .أنا أذهب معكم إلى أعماق البحار!! كيف وأنا لا أعرف الغوص. .إننى حتماً سأغرق. .

وحاولت جولنار أن تطمئنه:

ـ لا تخش يا مختار. .لا تخش. . إننا سنركب معاً عربة الغوص الرستور.

وبنفس تعبيرات الدهشة صاح مختار:

ـ الرستور !! وما تلك العربة؟

ـ إنها عربة مجهزة ،ملآنة بالهواء النقى ويجرها داخل أعماق البحار الرسبايو.

ـ وما هو هذا الرسبايو؟

ـ إنه نوع من أنواع سمك القرش الأبيض الأليف المستأنس ونستعمله فى تنقلاتنا بعربة الرستور.

ـ وقاربى هذا يا جولنار ؟ وأبى المريض فى الدار؟

ـ لا تشغل بالك بأى شىء فإن مرداس كبير الحراس ومن معه سيتولون كل شىء.

وأعطت جولنار الإشارة لمرداس لإحضار عربة الغوص الرستور التى تجرها سمكة القرش الأليفة الرسبايو. وعلى الفور أعطى مرداس إشارات لاسلكية بهذا الأمر. وفى غضون دقائق معدودة ظهر بجوار القارب صندوق من الحديد والزجاج البلورى الشفاف متصل مقدمته بسيورحديدية تنتهى بحلقة حديدية معلقة فى عنق إحدى سمكات القرش الأبيض الأليفة الضخمة "الرسبايو" وهى فى غاية الهدوء.

فقالت جولنار : هذه هى عربة الغوص "الرستور" وهذه هى "الرسبايو" التى ستجرها فى أعماق البحر. هيا. هيا يا مختار..

وبخوف شديد وحذرمع سعادة باكتشاف عالم جديد لم يره من قبل تحرك مختار وترك القارب وركب الرستور فإذا هى مثل عربة الحنطور التى يجرها الحصان فى بلدته والتى تستخدم فى الانتقال من مكان لآخر. وركبت معه الأميرة جولنار وأغلقت باب العربة وجلست بجوار مختار على المقعد فقال لها مختار ملتفتا حوله داخل العربة:

ـ أهذه عربة الغوص. الرستور.

ـ نعم..

ـ إنها تشبه عربة فى بلدتنا تسمى الحنطور يجرها أحد الخيول.

فقالت جولنار ضاحكة:

ـ على ذلك يمكن لك يا مختار أن تسمى هذه العربة. حنطور البحر..

فضحك مختار وهو معجب بذكاء جولنار وصاح مبتسماً.

ـ نعم. نعم. حنطور البحر. حنطور البحر..

ـ والآن يا مختار نربط حزام المقعد لأننا سنغوص فى الأعماق الآن..

وأمسك كل من مختار وجولنار بحزام عريض من الجلد مثبت فى طرفى المقعد وثبتاه حول جسميهما. ثم أعطت جولنار الإشارة من خلال تحريك ذراع بالعربة فإذا بالعربة تغوص بهما متجهة إلى أعماق البحر.

الفصل الرابع

مدينة الأعماق «سيموداهور»

شرعت سمكة القرش الأبيض الضخمة :الرسبايو" تغوص فى أعماق البحر تجر فى يسر وسهولة عربة الغوص " الرستور" أو حنطور البحر وهى تحمل بداخلها مختار والأميرة جولنار بنت أمير البحار. وأخذ مختار ينظر وهو فى غاية الدهشة من خلال جوانب العربة الشفافة إلى هذه المناظر البديعة الرائعة لأعماق البحر، وتلك التجمعات الهائلة من الأسماك المختلفة فى أحجامها وأنواعها وألوانها، وكيف تتحرك تلك المجموعات فى تناسق بديع. وقال مختار متعجباً من ضخامة أعماق البحر:

ـ يالاتساع البحر.. إنه لمتسع جداً، ليس فقط عندما نراه من سطحه وإنما عندما نراه فى أعماقه أيضاً.

فردت جولنار:

ـ اعلم يا صديقى مختار أن الجزء الأكبر من سطح الأرض مغطى بالبحار، فاليابسة تشغل حوالى ثلث سطح الأرض التى نعيش عليها فقط، أما البحار فتشغل ثلثى سطح الأرض.

ـ يعنى هذا يا جولنار أن مساحة البحار ضعف مساحة اليابسة.

ـ نعم.. نعم يا مختار.. وليس هذا فقط.. بل اعلم أن لاحياة على الأرض بدون هذه البحار..

ـ كيف يا جولنار ؟

ـ من هذه البحـار نحصل على الماء العذب الذى نشـربه وتشربه كل الدواب ونروى به النباتات والزروع، فلولا البحار لما تبخرت منها المياه بفعل أشعة الشمس وما هطلت أمطار وما تكونت الأنهار والآبار والعيون. .كما أننا نحصل على قسط كبيـر من الغذاء والطاقة من هذه البحار. .فـالسمك وغيره من الحيـوانات البحرية سيكون دوماً جزءاً رئيسياً من غذاء الإنسان. .

ـ جولنار. .إنى ألاحظ أنه كلما غصنا فى قاع البحر زادت الأعماق ظلمة. .

ـ نعم يا مختار. .تزداد الظلمة كلما غصنا فى أعـماق البحر لأننا نبتعد عن السطح حيث تستمد مياه البحر الضوء من أشعة الشمس، ولذا عندما نغوص شيئاً فشـيئاً يقل الضـوء وتصعب الرؤية حيث لا يسـتطيع ضوء الشـمس أن ينفذ تحت السطح إلاّ إلى مستويات معينة فتـأتى الظلمة بالتدريج حتى إنه فى بعض الأعماق السحيقة ينعدم الضوء تماماً ويسود ظلام تام. .

ـ ظلام تام. .ولكن كيف سنرى ما حولنا فى هذا الظلام التام؟

فابتسمت جولنار وقالت:

ـ لاتخش يا مختـار. .نحن لدينا مصابيح كهربائية للإضـاءة تماماً كالتى فى بلدتكم. .

وبنفس علامات الدهشة التى ارتسمت على وجـه مختار منذ أن رأى جولنار صاح قائلاً:

ـ مصابيح كهربائية فى أعماق البحار ؟

ـ نعم. .نعم. .

ـ ومن أين تأتى تلك الطاقة الكهربائية التى تنير المصابيح ؟

ـ هناك عدة مصادر لهذه الطاقة أولها : أسطوانات التوربينات. .

ـ وما هذه الأسطوانات يا جولنار. .؟

ـ إنها أسطوانات ضخمة جداً أنشئت على أعماق مناسبة من قاع البحر ذات فتحات علوية قـريبة من سطح البحر، ويمكن التحكم فيهـا آلياً. . ويوجد بالجزء

السفلى منها توربينات ضخمة لتوليد الكهرباء. فعندما تفتح هذه الأسطوانات من أعلى آلياً يندفع ماء البحر إلى داخلها بشدة وتسقط بقوة على أذرع التوربينات فتحركها بسرعة هائلة لتتولد الطاقة الكهربائية..

ـ ياللفكرة الرائعة..

وأكملت جولنار شرحها لمختار:

ـ وأيضا نولد الكهرباء باستخدام حركة بعض الدرافيل الضخمة من عائلة كونيور.

ـ وكيف تأتى لكم هذه الدرافيل الضخمة بالكهرباء.. هل هناك كهرباء داخل جسمها؟

فضحكت جولنار من كلام مختار وقالت :

ـ لا يا مختار.. لا.. هذه الدرافيل الضخمة قد تم تدريبها جيداً على الحركة الدائرية فى ماء البحر.. فيتم ربط سلاسل حديدية قوية فى رقاب أربعة من هذه الدرافيل وتكون نهايات هذه السلاسل متصلة بتوربينات الكهرباء.. فعندما تتحرك الدرافيل الأربعة حركة دائرية مستمرة تتحرك التوربينات بسرعة مولدة الطاقة الكهربائية.

ـ وهل يكفى هذا لإمدادكم بالطاقة الكهربائية اللازمة لاستمرار حياتكم عند الأعماق؟

ـ نعم يكفى.. بل ويفيض منها.. وهذا الفائض من الطاقة الكهربائية نقوم بتخزينه داخل النورستات..

ـ وما النورستات هذه؟

ـ إنها بطاريات ضخمة جداً نخزن فيها الطاقة الكهربائية لفترات زمنية طويلة قد تمتد إلى عدة سنوات.

وهنا صرخ مختار صرخة مدوية.. فقد شاهد من خلال أحد الجوانب الشفافة لعربة الغوص "الرستور" اقتراب أخطبوط عملاق وأطبق على العربة

بواسطة أذرعه المتعددة الطويلة المخيفة فاهتزت العربة بشدة على إثر ذلك. . فصاحت جولنار تطمئن مختار:

ـ لا تخف يا مختار. . لا تخف. .

ـ كيف لا أخاف وهذا الوحش البشع يكاد يفتك بالعربة وبنا. .

ـ سوف نتخلص منه حالاً. .

وبسرعة حركت جولنار إحدى الأذرع المعدنية التى بداخل الرستور فإذا بشحنة كهربائية عالية تنطلق من السطح الخارجى للرستور وتصيب الأخطبوط العملاق فانكمشت أذرعه المتعددة على الفور من هول الصدمة الكهربائية ولاذ بالفرار مبتعداً عن عربة الغوص.

ولم يصدق مختار أن هذا الأخطبوط العملاق قد انهزم بهذه السهولة. . وتلاشت من على وجهه أسارير الخوف والفزع وحل محلها ابتسامة عريضة، وقال وهو معجب بشجاعة جولنار وثباتها فى هذا الموقف الصعب:

ـ يالشجاعتك يا جولنار وسرعة تصرفك فى المواقف الصعبة.

فابتسمت جولنار لصديقها وقالت:

ـ إن الحياة فى أعماق البحار مليئة بالمخاطر والمواقف العصيبة المشابهة كما رأيت. . لكننا استطعنا إلى حد كبير أن نتكيف مع طبيعة هذه الحياة وأن نتغلب على كثير من هذه المخاطر وتلك المواقف. .

ـ وكيف استطعتم يا جولنار أن تتغلبوا على مخاطر الحيوانات البحرية الضخمة مع أنها كثيرة العدد ومختلفة الطبائع؟

ـ لقد عرفنا الكثير عن طبائع هذه الحيوانات البحرية الضخمة وعرفنا الكثير عن أساليب معيشتها، وفى أى الأماكن تعيش وعلى أى الأعماق توجد، ومتى تكون شديدة الخطورة، ومتى تكون أقل خطورة، وهذه المعرفة تتيح لنا القدرة على مواجهتها وخاصة عندما تكون شديدة الخطورة والشراسة. .

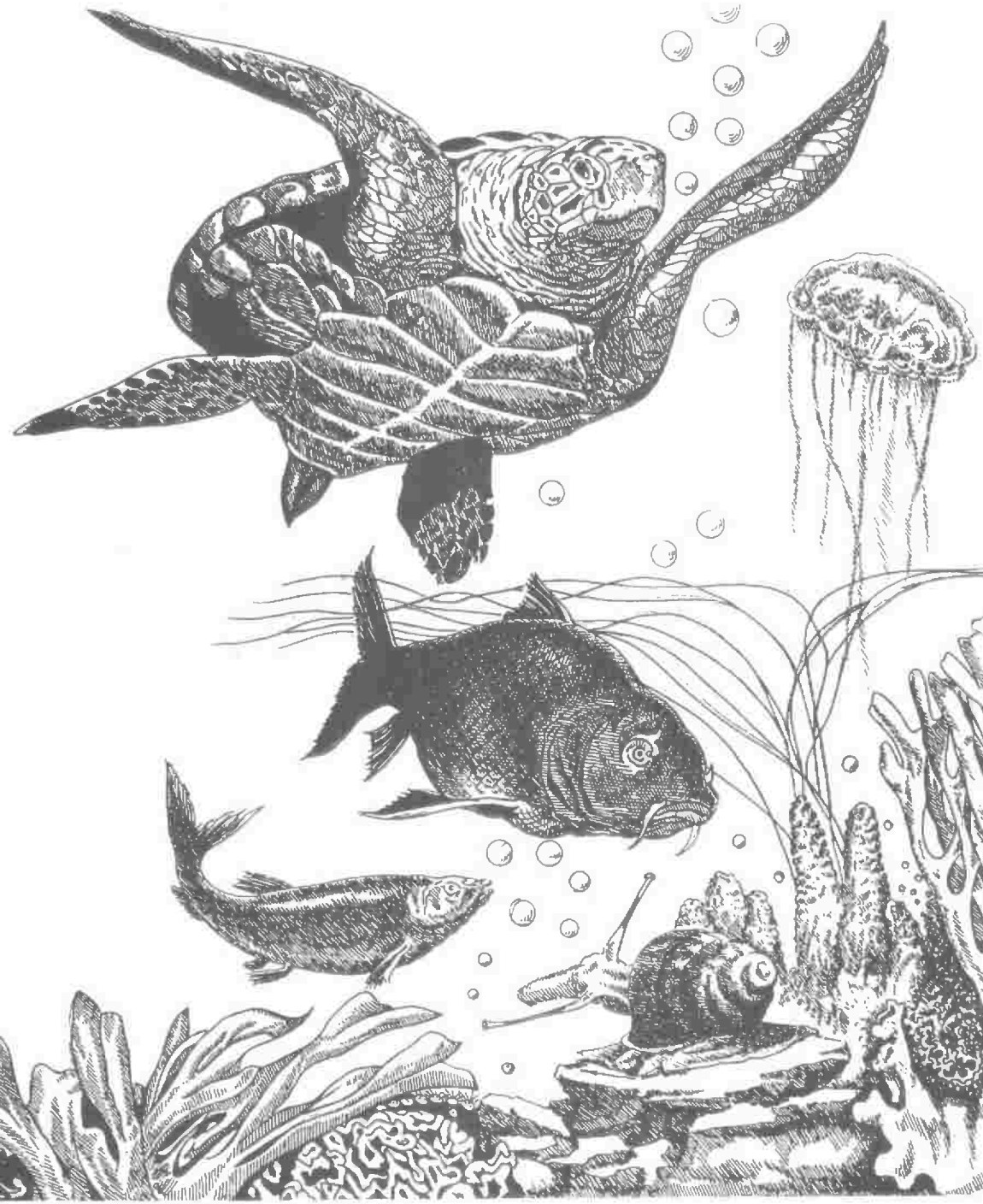

ولاحظ مختار أن العربة الرستور أو حنطور البحر قد غاصت إلى أعماق كبيرة وهى فى طريقها إلى المدينة التى يعيش فيها أهل جولنار تحت أعماق البحار. . وأصبحت الرؤية فى هذه الأعماق متعذرة وفهمت جولنار ما يفكر فيه مختار فمدت يدها وحركت إحدى الأذرع المعدنية فإذا بالأضواء تنطلق من العربة من جميع الجهات لتصبح كأنها بقعة مضيئة تسير فى أعماق البحر.

فصاح مختار :

ـ ياللعجب كل هذه الأضواء من تلك العربة. . لقد أحالت الظلام إلى ضياء نستطيع به أن نرى كل شىء حولنا.

ـ هذه الكشافات التى انطلقت منها هذه الأضواء لتنير لنا الطريق فى أعماق البحر أصبحت من الأشياء الأساسية فى حياتنا فى تلك الأعماق. .

ـ وكيف تستمد هذه الكشافات طاقاتها الضوئية؟

ـ تستمدها من بطاريات كهربائية توجد فى جسم العربة المعدنى.

ـ وكيف تشحن هذه البطاريات الكهربائية لتعطى كل هذه الأضواء؟

ـ من أشعة الشمس. .

فصاح مختار متعجباً : أشعة الشمس !!!

ـ نعم يا مختار. . فكل عدة أيام تنطلق هذه العربات البحرية إلى سطح البحر لتقضى يوما كاملاً على هذا السطح معرضة جسمها لأشعة الشمس. . فتشحن البطاريات الكهربائية التى توجد على جسمها بالكهرباء حيث تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية يمكن تخزينها والاستفادة منها لعدة أيام. .

وهنا رأى مختار إشارات مضيئة حمراء اللون ومتقطعة بدأت تعمل داخل العربة، فقال متسائلاً:

ـ ما هذه الإشارات الضوئية الحمراء يا جولنار؟

ـ هذه الإشارات علامة على أننا قد اقتربنا من مدينتنا. .

ـ مدينتكم. .

ـ نعم. . نعم. . مدينة سيموداهور. .

ـ سيموداهور!!!

ـ نعم هذا الاسم يعنى مدينة الأعماق. .انـظر يا مختار ودقق النظر فى هذا الاتجاه. .ماذا ترى؟

وأخذ مختار يدقق النظر فى الاتجاه الذى حددته له جولنار . .

ـ أرى بقعـة صغيـرة من الضوء. .هل هذه البـقعة أحـد الحيونات البـحرية المضيئة؟

فضحكت جولنار وقالت:

ـ هذه ليست أحد الحيونات البحرية المضيئة بل إنها مدينتنا سيموداهور مدينة الأعماق. .

ـ ولكن أهى صغيرة إلى هذه الحد. .فهى تبدو بقعة ضوئية صغيرة. .

ـ لأنها مازالت بعيدة عنا جداً ولكن مع اقترابنا منها ستراها مدينة كاملة. .

وفعلاً بدأ مختار يلاحظ بحذر شديد اقتراب العربة "الرستور" التى يستقلها مع جولنار والـتى تجرها سمكة القـرش الأبيض "الرسبـايو" من مدينة الاعـماق سيموداهور، وكلمـا اقتربا منها أدرك مدى اتساع هذه المدينة. . واسـتطاع أن يتبين عدداً كبيراً من المبانى الثابتة فى قاع البحر والتى تشع الأضواء من جوانبها. . وفى دهشة قال مختار :

ـ فعلاً يا جولنار. .إن مـدينة الأعماق سيموداهور لكبـيرة حقاً وكنت أراها من بعيد صغيرة. .

ـ دقق النظر فى هذا المسكن الكبير الذى يتوسط المدينة. .

ـ نعم. .نعم يا جولنار إننى أراه. .

ـ هذا المسكن الكبير هو بيت أبى «أمير البحار» الأمير «مردار».

ـ الأمير مردار أمير البحار. .

ـ نعم يا مختار. .

وفى هذه اللحظة استـقرت العربة الرستـور على قاع البحر فى مكان مـستو معد لذلك وقالت جولنار وهى تبتسم ابتسامة رائعة تنير وجهها الجميل وقالت :

ـ صديقى العزيز مخـتار. . مرحباً بك فى مدينتنا العـزيزة. .مرحباً بك فى مدينة الأعماق سيموداهور.

الفصل الخامس
مختار وأمير البحار

بحذر مشوب ببعض الخوف قال مختار للأميرة جولنار:

ـ إلى أين سنذهب يا جولنار؟ وكيف سننتقل من عربة البحر "الرستور" إلى مبانى مدينتكم سيموداهور؟

ابتسمت جولنار ابتسامة عريضة أضاءت وجهها الجميل المشرق تحاول بها أن تطرد القلق والخوف من نفس مختار وتشجعه على ما هو مقبل عليه وقالت :

ـ الأمر بسيط للغاية يا مختار، إننا سننتقل إلى مبانى وطرق مدينتنا سيموداهور كما تنتقل أنت فى بلدتك تماماً..

ـ ولكن فى بلدتنا نحن على سطح الأرض وليس هناك أية مشكلة للانتقال أما هنا فنحن فى أعماق البحر!!

ـ صديقى العزيز مختار..سترى أنه هنا أيضاً فى مدينتنا ليست هناك أية مشكلة فى الانتقال..هيا بنا..هيا..

وفى مهارة واضحة حركت جولنار إحدى أذرع عربة البحر الرستور فانفصلت السيور الحديدية والحلقة التى تنتهى عندها هذه السيور. وشاهد مختار سمكة القرش الأبيض الأليفة الضخمة "الرسبايو" وهى تبتعد عن العربة وتجر معها السيور الحديدية ثم حركت جولنار ذراعاً فإذا بالعربة تسير سيراً منتظماً إلى الأمام..

وقال مختار :

ـ صديقتى العزيزة جولنار . كيف تسير الرستور الآن وتتحرك إلى الأمام رغم أن الرسبايو قد تركتها .

ـ نحن نسير الآن يا مختار بطاقة كهربائية خاصة بالرستور على قضبان حديدية تشبه تماماً تلك التى عندكم والتى تسير بها القطارات .

ـ قضبان حديدية!!

ـ نعم يا مختار قضبان حديدية فى قاع البحر . وسوف نسير على هذه القضبان حتى نصل إلى إحدى ساحات مداخل المدينة . حيث لمدينة الأعماق سيموداهور عدة ساحات ندخل ونخرج منها . .

ـ تدخلون وتخرجون ولا ينفذ ماء البحر ذو الضغط الهائل من تلك المداخل إلى مدينتكم؟

ـ بالطبع يا مختار لا ينفذ الماء مهما كان ضغطه إلى مدينتنا حيث التحكم فى هذه المداخل دقيق للغاية لا يسمح بدخول الماء إلى داخل المدينة .

ـ ألا تتخذون الاحتياطات الكافية لاحتمال نفاذ ماء البحر إلى داخل المدينة؟

ـ طبعاً فهذا أمر متعلق بحياتنا . فهناك ثلاثة مستويات لمدينتنا وبين كل مستوى والآخر صمامات ضخمة يمكن التحكم فيها آلياً بحيث لو افترضنا حدوث أى خطأ وتسرب الماء إلى المستوى الأول السفلى للمدينة تنطلق صفارات الإنذار لتنذر كل الموجودين فى هذا المستوى ليسرعوا بالصعود إلى المستوى الثانى الذى يتم إغلاقه بعد ذلك بإحكام ثم ينطلق رجال الإصلاح المتخصصون لإصلاح الخلل الذى أدى إلى هذا التسرب .

ـ وبكل إعجاب وتقدير قال مختار :

ـ ياللدقة والإتقان والنظام فى العمل والحركة لديكم يا جولنار . .

ـ هذا من أساسيات حياتنا يا صديقى العزيز . . إنك سترى أن كل من فى المدينة كبيراً وصغيراً مثالٌ للإتقان والدقة فى العمل، وكذلك التحلى بكل صفات الإنسان الصالح من : صدق وأمانة وإخلاص وشجاعة ونظام ونظافة وإيثار وحب الآخرين وتعاون فى العمل وكل ما يجعل كل واحد منا سعيداً فى نفسه وسعيداً

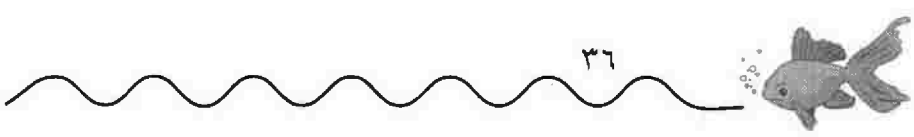

فى جماعته ومجتمعه.. فلا مجال بيننا لكسول أو كاذب أو حاقد أو جبان أو أنانى أو متعال.. فالفرد يسعى لسعادة الجماعة.. والجماعة تسعى لسعادة الفرد.. والحكم فينا عدل وحزم وشورى..

فقال مختار وابتسامة كبيرة تضىء وجهه معبرة عن سعادة بالغة بهذه المعانى السامية الجميلة :

ـ ما أجمل هذه المعانى الرائعة التى تقولينها يا جولنار.. وما أروع هذه العلاقات التى تكون بين الفرد والجماعة.. وهذا يعنى أنكم تعيشون فى سعادة وطمأنينة وأمن وسلام، فلا مجال لحدوث خطأ من أى فرد منكم مادمتم جميعاً تسعون لإسعاد بعضكم البعض .

ـ هذا هو بالفعل ما نعيش فيه فى مدينتنا تحت الأعماق سيموداهور يا صديقى العزيز: إيمان وعلم وعمل وتعاون وتحاب وإخلاص وإنتاج لاحقد ولا ضغينة ولا أطماع ولا حرمان، بل نعيش جميعاً فى سلام وطمأنينة وحب ولا نتوقع أى شر إلا إذا قدم غريب علينا.

ـ غريب مثلى يا جولنار ؟

وبسرعة ردت جولنار المهذبة :

ـ لا.. لا يا مختار.. أنت إنسان طيب للغاية.. إنسان لديك كل الصفات الإنسانية الحسنة.. إنسان من نفس نوعية سكان مدينتنا..

وفى ابتسامة متواضعة قال مختار :

ـ أشكرك يا صديقتى العزيزة على هذه المشاعر ولكن كيف عرفتِ عنى كل هذا يا جولنار ونحن لم نتعارف إلا منذ قليل؟

فضحكت جولنار وقالت :

ـ لقد تم اختبارك اختباراً دقيقاً بجهاز "فاحص الشخصيات" البرسنتست" الموجود فى مركز المعلومات والتحقيق بالمدينة وجاءت النتيجة رائعة..

وفى حيرة تساءل مختار :

ـ ماذا تقولين يا جولنار؟ وعن ماذا تتحدثين؟ أى اختبار وأى مركز وأية نتيجة إننى لا أفهم ماذا تعنين؟

ـ عزيزى مختار. .إنك بمجرد جلوسك على مقعد عربة البحر "الرستور" تم التقاط عشرات الصور لك دون أن تشعر بواسطة هذا الجهاز الذى أمامك فى العربة، وأرسلت الصور بطريقة لاسلكية إلى مركز المعلومات والتحقيق الذى يستخدم أجهزة عالية الكفاءة قامت بتحليل شخصيتك من جميع جوانبها وتم رفع تقرير شامل عن سمات شخصيتك إلى المسئولين وعرفت النتيجة أنا عن طريق الرموز التى ظهرت على شاشة هذا الجهاز الذى أمامك. .

فقال مختار وهو فى حالة دهشة شديدة :

ـ وهل يمكن أن تعرفوا سمات شخصيتى الداخلية وصفاتى النفسية من صور خارجية.

فأوضحت له جولنار :

ـ نعم. .نعم يا مختار. .فلدينا من الأجهزة ما تستطيع أن تحلل نظرات عينيك , حركات جسمك وأطرافك وأسلوب حديثك. .ثم تترجم هذه التحاليل إلى سمات وصفات بحيث تعطى مؤشرات صادقة تماماً عما تكون عليه جوانب شخصيتك. .

وبنفس الدهشة والإعجاب قال مختار:

ـ إنكم متقدمون فى العلم وتطبيقاته بشكل مدهش للغاية يا جولنار. .

وعند هذه اللحظة وصلت عربة البحر الرستور إلى أسفل قاعدة حديدية واتخذت موقعاً محدداً لها. فقامت جولنار وحركت ذراعاً معينة فتم تثبيت الرستور فى القاعدة الحديدية تماماً. .ثم حركت ذراعاً آخر فانفتحت فتحة دائرية فى كل من العربة والقاعدة وتدلى من فتحة القاعدة سلم صغير. .ومدت جولنار يدها إلى مختار وقالت له:

ـ هيا يا صديقى هيا لنصعد إلى مدينتنا. .وأهلا بك فى سيموداهور يا مختار. .

وتحرك مختار مع جولنار وصعدا معاً السلم الصغير ليخطو أولى خطواته فى هذا العالم العجيب. .عالم يعيش فى أعماق البحار. .ووجد مختار نفسه يسير بجوار مضيفته الجميلة جولنار فى طريق داخل أسطوانة ضخمة تشبه النفق الكبير. .وفى تساؤل عجيب وهو يلتفت يميناً وشمالاً إلى أعلى وإلى أسفل قال مختار:

ـ أين نحن الآن يا جولنار ؟ وما هذا النفق الذى نسير فيه ؟

فردت جولنار موضحة :

ـ إننا الآن فى المستوى الأول من المستويات الثلاثة لمدينتنا سيموداهور . . وهو عبارة عن طرق تشبه الأنفاق ويعتبر القاعدة الأساسية للمدينة . .

ـ ياللعجب . . رغم إننا على أعماق سحيقة فى قاع البحر إلاّ أن الهواء هنا مثل أى مكان على سطح الأرض . .

ـ إن سيموداهور كلها يا مختار مكيفة الهواء . . ولا تختلف فى هوائها عن أية مدينة على سطح الأرض . .

ـ ولكن من أين تحصلون على هذا الهواء؟ وكيف تحافظون على نقاوته . . ؟

ـ هيا بنا نسير وسأوضح لك فى أثناء سيرنا كيف نوفر الهواء لمدينتنا . .

وسار مختار بجوار جولنار وهو لايصدق نفسه فى كل ما رآه ويراه وكأنه فى حلم عجيب لا يريد أن يستيقظ منه إلا بعد أن يعرف كل أسراره . . وأكملت جولنار حديثها :

ـ إننا نحصل على الهواء اللازم لحياتنا يا صديقى العزيز مختار من عدة مصادر . . المصدر الأول وهو المصدر الرئيسى هو أننا نسيل الهواء الجوى . . أى نجعله سائلاً ثم يتم تعبأته فى أسطوانات ضخمة لتمد المدينة باحتياجها من الهواء حيث إن هذه الأسطونات تخرج الهواء غازياً بعد خفض الضغط عليه وليس سائلاً . .

ـ وكيف تحولون الهواء الجوى إلى سائل ؟ وأين يتم ذلك وأنتم فى أعماق البحر؟

ـ من ناحية كيفية تحويل الهواء الجوى الغازى إلى سائل فهذا يتم بواسطة ماكينات ضخمة تقوم بضغط الهواء الجوى وتبريده إلى درجات منخفضة جداً فيتحول من غاز إلى سائل يعبأ فى أسطوانات ضخمة تأتى بها هنا ونخفف الضغط عليها فيعود الهواء من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية . . أما أين يتم ذلك . . فيتم فى جزيرة كندهار التى حدثتك عنها ونحن فى عربة الرستور .

وعلى الفور قال مختار ليبرهن لجولنار أنه يحفظ حديثها العذب عن ظهر قلب:

ـ نعم... نعم... تلك الجزيرة التى توجد فى وسط البحر الكبير والتى لا يعرفها أحد سواكم وهى مليئة بالأشجار والزروع والمياه العذبة وجميع أنواع الطيور والحيوانات الأليفة..

وأعجبت جولنار بذكاء مختار وذاكرته القوية وصاحت:

ـ كم أنت ذكى يا مختار وتمتلك قوة ذاكرة عالية.. نعم إنها جزيرة كندهار والتى أقمنا فيها الكثير من المصانع بعضها يختص بتحويل الهواء إلى سائل وتعبئته فى أسطوانات ضخمة.. والمصدر الثانى للحصول على الهواء النقى فى مدينتنا هو إعادة تنقية الهواء المستعمل وذلك بواسطة مزارعنا فى المدينة..

ـ ماذا تقولين يا جولنار!! ألديكم مزارع فى مدينة الأعماق هذه؟

ـ نعم يا مختار نعم.. لدينا مزارع يكفى إنتاجها لتغطية بعض ما نحتاجه من خضراوات وفواكه وحبوب وغيرها من المنتجات الزراعية التى نكملها من المنتجات الزراعية لجزيرة كندهار.

ـ آمنت بك يا رب.. مزارع لإنتاج خضراوات وفواكه وحبوب تحت سطح البحر!!

ـ سوف أجعلك تشاهد كل شىء عندنا يا مختار، فلقد أصبحت واحداً من أفراد مدينتنا.

وهنا تذكر مختار والده المريض.. وكيف ستكون حالته عندما يترقب عودته فلا يجده وبالطبع سيظن أنه قد غرق فى البحر ويحزن حزناً شديداً.. وتغيرت ملامح وجه الصبى ومرت سحابة حزن وأسى على تلك الملامح، وشعرت جولنار بهذا التغيير وبما يدور فى عقل مختار فقالت:

ـ مالك يا مختار.. مالى أراك وقد أصابك شىء من الحزن والغم..

وفى أسى رد مختار:

ـ لقد تذكرت أبى المريض وكيف ستكون مشاعره عندما لا أعود إليه ويظن إنى قد غرقت..

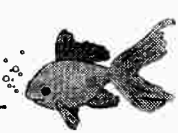

ـ لا تفكر فى هذا الأمـر واطمئن فلقـد كلفت مرداس كبـير الحـراس بهذا الموضوع وسوف يقوم بكل ما يطمئن والدك عليك..

ـ وكيف سيعرف مرداس كبير الحراس بيتنا فى البلدة وكيف سيعرف أبى؟

ـ إننا نعـرف كل شيء عنك وعن أبيك بعـد أن دون تلك المعلومات المركـز الرئيسى للمعلومات والتحقيق فى مدينتنا..

هنا تهللت أسارير مختار وقال بعد أن انقشعت عن ملامحه أحاسيس الحزن والغم:

ـ أشكرك يا جولنار..أشكرك على اهتمامك بكل ما يشغلنى..

ـ لا شكر على واجب يا مخـتار فهـذا أقل ما يجب عمله مع ضـيف عزيز مثلك..

وفي هذه اللحظة وصلا إلى بوابة عليها بعض الحراس من فتيان وفتيات وهم يرتدون زيًا جميلاً خاصاً بهم فقدمت لهم جولنار التحية فقال قائدهم:

ـ مرحبـاً..مرحباً يا سـمو الأميرة جولـنار.. ومرحباً بك يا ضيـفنا العزيز مختار.

فرد مـختار التحـية لهم بأحسن منهـا وهو فى غاية الدهشة لأنهم يعـرفون اسمه. فقالت جولنار وقد عرفت ما يدور فى ذهنه من تساؤل:

ـ لا تندهش يا مخـتار فإن أهل المدينة جـميعاً قـد عرفوك جيـداً وشاهدوا رحلتى معك داخل عربة البحر الرستور.على شاشات التلفازتاتو...

فابتـسم مخـتار ولم يستـطع أن يقول شيـئاً أمـام العجائب التى يـشاهدها ويسمعها.. وقالت له جولنار:

ـ والآن هيا يا مختار فإننا سنركب معاً الميزوكار..

ـ الميـزوكـار..ما هو الميـزوكـار هذا يا جـولنار..أهو مـثل عربة الـبحـر الرستور..؟

ـ لا يا مختار لا.. الميزوكار هو وسيلة مـواصلاتنا داخل مدينتنا سيموداهور وهو أيضاً يتحرك بين مستويات المدينة الثلاثة.

ـ صفى لى يا جولنار شكل وسيلة المواصلات هذه التى تسمونها الميزوكار..

ـ هيا . . هيا نستخدم الميزوكار وسوف تتعرف عليه عندما تراه . .

ومر كل من مختار وجولنار من البوابة بعد تقديم التحية الطيبة للحراس ثم سارا معاً فشاهد مختار طريقاً له اتجاهان أحدهما ذهاباً والآخر إياباً . وعندما نظر إلى أرضية كل اتجاه وجدها مقسمة إلى عدة أجزاء متحركة . وكل جزء يتحرك بسرعة مختلفة عن الجزء الآخر المجاور له فسرعته تزيد عن سرعة ما قبله وتقل عن سرعة ما بعده . . كما شاهد بعض سكان مدينة الأعماق وهم يقفون على أجزاء الطريق وهذه الأجزاء تتحرك بهم فى سرعات مختلفة . واندهش مختار وأخذه العجب مما يراه ولا يعرف كيف يفسره . وقبل أن يسأل جولنار عما يشاهده بادرته هى بابتسامة حلوة قالت :

ـ هذه هى وسيلة مواصلات مدينتنا سيموداهور . . هذا هو الميزوكار . . وهو عبارة عن مشّايات معدنية تتحرك بالطاقة الكهربائية . .

ـ ما معنى مشايات معدنية تتحرك بالكهرباء؟

ـ معناها أنها طرق تتحرك تحت أقدامك وما عليك إلا أن تقف عليها لتنقلك إلى المكان الذي تريده . وإذا أردت أن تسرع فهناك مشّايات مجاورة أسرع وأخرى أبطأ . . .

ـ وكيف سنقف عليها وهى متحركة؟

ـ هناك فى كل اتجاه من الاتجاهين رصيفٌ ثابت كما ترى نقف عليه هكذا . . وأول مشّاية معدنية متحركة التى بجوار الرصيف تتحرك ببطء كما ترى . . فيمكن بسهولة أن تقف عليها . . هيا بنا نقف عليها . .

ونزل مختار مع جولنار من على الرصيف الثابت إلى المشّاية المعدنية الأولى المتحركة حركة بطيئة . وواصلت جولنار شرحها للميزوكار فقالت :

ـ هنا نحن عند أول سرعة للميزوكار . . وكما ترى يا مختار إنه كان من السهل أن ننتقل من الرصيف إليها . . وهيا ننتقل للمشّاية المعدنية الثانية وهى أكثر سرعة من الأولى .

وانتقل مختار مع جولنار إلى المشّاية الثانية فى يسر وبساطة . ولاحظ أنها أسرع فى الحركة من الأولى . . وهكذا أخذا معا ينتقلان من مشاية أقل سرعة إلى

مشّاية مـجاورة أكثر سرعـة حتى وجد مخـتار أنهما يتحـركان بسرعة كـبيرة على المشاية المعدنية الأخيرة.

وابتسم مختار سعيداً بهذه الفكرة الرائعة فى الانتقال وقال:

ـ جولنار.. إذا أردنا أن ننزل من الميزوكار إلى الرصيف مرة أخرى.

فقالت جولنار ضاحكة:

ـ نعود بنفس التـرتيب من مشّاية إلى أخرى أقل سرعـة حتى نصل إلى أبطإ مشاية والتى بجوار الرصيف فنصعد منها إلى الرصيف..

فقال مختار بإعجاب:

ـ اختراعكم يا جولنار لهـذه الوسيلة الانتقالية اختـراع رائع ويقلل كثيرا من الحوادث التى تحدث فى وجود وسائل المواصلات التى نعرفها فى بلدتنا..

فردت عليه جولنار:

ـ نعم.. نعم يا مختار إن الميزوكار وسيلة مواصلات مناسبة جداً ولكن لكل وسلية مزايا وعيوب..

ـ وما هى عيوب الميزوكار كوسيلة للانتقال؟

ـ أنها مكلفة اقتصادياً يا مختار.. فهى تستهلك طاقة كهربائية عالية التكاليف لكننا نستطيع توفيرها فى مدينتنا.

وفى أثناء انتقال مختار وجولنار داخل مـدينة أعماق البحار بالميزوكار شاهد مختار العديد والعديد من أهل المدينة ينتـقلون من مكان لآخر وكانوا فى انتقالتهم يحيون سمو الأميـرة جولنار وضيفها العزيز مختار.. كمـا شاهد مختار العديد من البيوت التى تتكون من طابق أو طابقين.. وفى أثناء ذلك قالت جولنار:

ـ استعد يا مختار فإننا سنترك الميزوكار حيث إننا اقتربنا من بيت أبى.. فقال مختار باهتمام كبير:

ـ ماذا؟ اقتربنا من بيت أبيك أمير البحار يا جولنار.

ـ نعم.. نعم يا صديقى العزيز مختار..

ـ ولكننى أشعر برهبة وخوف وأنا أستعد لأقابل أمير البحار..

فضحكت جولنار قائلة:

ـ لا تخش شيئاً يا مختار..فإن أبى أمير البحار رجل طيب للغاية.

وأمسكت جولنار بيد مختار وانتقلا بالتدريج على مشايات الميزوكار المتحركة حتى وصلا إلى الرصيف الثابت..فسارا عليه حتى وصلا إلى بيت مشابه لبيوت المدينة ولكن عليه حارسين متميزين فى زيّهما..وعندما لمح الحارسان جولنار وضيفها مختار فتحا الباب وصاح أحدهما قائلاً بترحاب:

ـ سمو الأميرة جولنار..وضيفها العزيز مختار..مرحباً بكما تفضلا فإن سيدى أمير البحار فى انتظاركما.

وأفسح لهما الطريق..فصعدا معاً على سلم البيت ومختار يشعر بشىء من الرهبة والخوف وضربات قلبه تشتد مع صعوده السلم وحاولت جولنار أن تشجعه لتقلل من إحساسه بالرهبة حتى وصلا إلى المدخل الداخلى للبيت فقالت جولنار مرحبة بضيفها:

ـ أهلاً بك يا صديقى العزيز مختار..أهلاً بك فى بيت أبى أمير البحار ولم يصدق مختار نفسه..لم يصدق أنه أصبح عند أمير البحار.

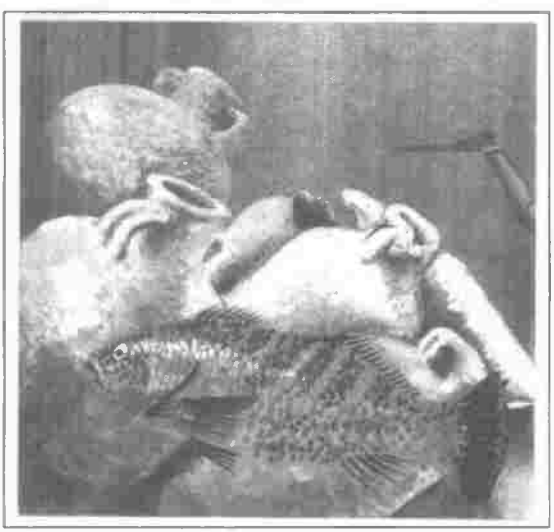

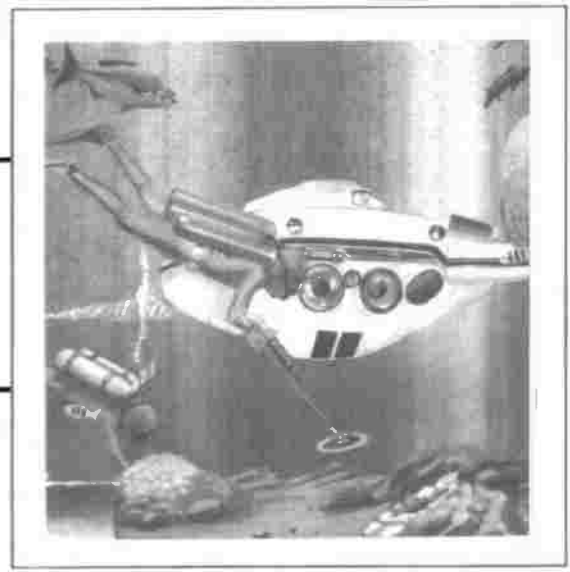

الفصل السادس

الحياة فى مدينة الأعماق

دخل مختار بصحبة صديقته سمو الأميرة جولنار إلى حجرة الضيافة فى بيت أمير البحار فإذا بالأمير منتظرهما. ووجد مختار نفسه وجهاً لوجه أمام أمير البحار مردار فإذا به رجل له هيبته. طويل القامة. قوى الجسم. له وجه حلو القسمات تتشابه كثيراً مع قسمات وجه الأميرة جولنار. وله عيون ونظرات يشع منها الذكاء والعظمة كما يشع منها أيضاً العطف والرحمة.

وبصوت قوى جميل معبر قال الأمير مرحباً بمختار

ـ أهلاً وسهلاً يا بنى. شرفت الدار وكل مدينة أعماق البحار.

فقال مختار وهو يسلم على أمير البحار:

ـ أهلاً بك يا صاحب السمو أمير البحار. إنه ليسعدنى ويشرفنى أن أقابل سموكم فى هذه المدينة العجيبة. ولا أدرى هل أنا فى حلم من الأحلام أم ما أراه واقع وحقيقة!!

ـ بل ما تراه يا مختار واقع وحقيقة. تعال يا بنى واجلس واعتبر الدار دارك.

ـ أشكرك من صميم قلبى يا صاحب السمو على كرم الضيافة هذه.

وجلس مختار بجوار أمير البحار وصديقته جولنار على مقاعد جلدية قصيرة الأرجل ولكنها مريحة. ونادى أمير البحار:

ـ يا غلام. . فلتقدموا لضيفنا مختار. . شراب الأزهار. .

وظهر غلام فى ملابس ملونة جميلة وقال عند سماعه نداء أمير البحار:

ـ السمع والطاعة يا أمير البحار. .

وقالت جولنار وهى ترحب بصديقها مختار:

ـ أهلاً بك يا مختار فى مدينتنا سيموداهور. .

ـ أهلاً بك يا سمو الأميرة جولنار. .

وابتسم أمير البحار وقال:

ـ لقد عرفناك يا مختار. . وتأكدنا من جهاز فاحص الشخصيات "البرسنتست" الموجود فى مركز المعلومات بأنك إنسان طيب وصادق وأمين ووفى. . وهذه صفات سكان مدينة الأعماق. . ولذا فإننا نعتبرك واحداً من سكان مدينتنا. .

ـ الشكر كل الشكر لك ياصاحب السمو أمير البحار على هذا المديح الذى أخجلنى. . فى حقيقة الأمر ما أنا سوى ابن صياد أعيش أنا وأبى فى بيت متواضع بجوار البحر وحياتنا غاية فى البساطة. . وبهذه المناسبة هل يمكن لى أن أعرف متى سأعود إلى بلدتى وإلى أبى؟

ـ نحن نعرف كافة مشاعرك. . فلا تخش شيئاً. . فإننا قد رتبنا لكل شىء بحيث يطمئن والدك عم صالح الصياد عليك ولا ينزعج بغيابك. .

وفى دهشة وانبهار صاح مختار:

ـ وهل يمكنكم معرفة بلدتى؟ ومعرفة مكان أبى؟

ـ نعم. . نعم يابنى. . إن مركز المعلومات والأجهزة الهائلة التى يضمها يمكن أن تمدنا بما نريد أن نعرفه بشكل قد يفوق كل تصور. .

وهنا دخل الغلام فى ملابسه الملونة الجميلة وهو يحمل إحدى الصوانى المعدنية ذات البريق الفضى المميز وعليها دورق زجاجى وبعض الكئوس الزجاجية الجميلة، ثم صب من الدورق شراباً ذا لون أحمر جميل فى الكئوس وقدم لمختار وأمير البحار وجولنار الكئوس، فأخذ مختار كأسه وشرب. . وفى انشراح واستمتاع وابتسامة كبيرة قال مختار:

ـ الله . . ما ألذ هذا الشراب . . وما أطعمه . .

فابتسمت جولنار وقالت :

ـ بالهناء والشفاء يا مختار . . إنه شراب الأزهار . .

ـ وما شراب الأزهار هذا يا عزيزتى جولنار؟

وفى ابتسامة رائعة قال أمير البحار :

ـ شراب الأزهار هذا من نبات نزرعه فى مزارعنا هنا فى مدينة الأعماق "سيموداهور" وعندما تنمو أزهار هذا النبات تقطف ويستخلص منها نوع من الزيوت نصنع منه هذا الشراب . .

ـ ياللعجب . . هذا الشراب الجميل يصنع فى أعماق البحار . . كنت أظن أننا لانستفيد من البحر سوى أسماكه وأصدافه . .

فقالت جولنار وابتسامة جميلة تضىء وجهها المشرق :

ـ إن كل ما نستخدمه فى حياتنا من مأكل ومشرب وملبس وأدوات وأجهزة غالباً ما نحصل عليه من منتجات بيئتنا البحرية . . انظر يا مختار انظر إلى المقاعد التى نجلس عليها إنها مصنوعة من جلود الحيتان . . وانظر كذلك إلى تلك الموائد والأثاث إنها مصنوعة من عظام حيوانات بحرية وأصداف مستخرجة من البحار . . وهكذا . .

وأكمل أمير البحار كلام ابنته الجميلة جولنار :

ـ إن حياتنا فى أعماق البحار جعلتنا نفكر فى كيفية الاستفادة من المنتجات البحرية فى مأكلنا ومشربنا وفى ملبسنا وفى صناعة كل ما نحتاج إليه . . فالخيرات التى أوجدها الله سبحانه وتعالى فى البحار لا تعد ولاتحصى . . جولنار . . بعد أن يستريح مختار بعض الشىء تجولى معه فى مدينتنا ليتعرف على كيفية سير الحياة فيها .

ـ سمعاً وطاعة يا أبى العزيز . .

ونظر أمير البحار إلى ضيفه الصغير مختار وقال :

ـ عفواً يا مختار فسوف اتركك الآن مع جولنار حيث حان الوقت لأشرف بنفسى على سير العمل بالمدينة..

قال أمير البحار هذا الكلام لمختار ثم قام فنهض مختار مصافحاً الأمير وقائلاً:

ـ تفضل يا سمو الأمير وأشكرك على هذا الاستقبال الحافل..

ـ لا شكر على واجب يا بنى..السلام عليكم يا أبنائى..

ورد مختار مع جولنار معاً:

ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته..

وبعد أن خرج أمير البحار ليشرف بنفسه على العمل بالمدينة قال مختار لجولنار:

ـ صديقتى العزيزة الأميرة جولنار..هناك سؤال يحيرنى..

ـ وما هو يا مختار..؟

ـ كيف يقوم والدك بالإشراف على أعمال بالمدينة وهو أمير البحار وأمير المدينة؟

ـ نحن هنا يا مختار نعيش فى "سيموداهور" مدينة الأعماق بأسلوب قد يختلف عما تعودتموه فى بلادكم..فالكل هنا سواسية..ولا فرق بين فرد وآخر إلّا بعمله..فالكل يعمل لخير المدينة..والكل ينتج لتقدم المدينة..والكل يتعلم ويفكر، فلا مجال لكسول أو منحرف..وكلما زاد الفرد منا علماً ورفعة وشأناً زادت مسئولياته وزاد عمله وزاد بذله للجهد والإنتاج..

ـ ما أجمل هذه المعانى الجميلة يا جولنار..

ـ إننا نعيش جميعاً فى سلام وأمن وأمان يا مختار..يرفرف علينا الحب والأمن والطمأنينة..ليس بيننا سوى الصدق والأمانة والإخلاص والمودة والاحترام..فالكبير كبير بأقواله وعلمه وعمله وعطائه وعطفه وخبرته..فهو دائمًا قدوة للصغير فى كل شىء..وهذا الصغير يكن للكبير كل احترام وتقدير وطاعة..فالكل يقوم بواجباته والكل يأخذ حقوقه..

ـ إن ما تقولينه هذا يا جـولنار يدخل السعادة إلى نفسى ولوكـان كل البشر مثلكم. .لعاشوا فى سلام وما عرفوا الحروب المدمرة فى يوم من الأيام.

ـ هذه هى تعاليم خالقنا رب العـالمين سبحانه وتعالى. .وأكد علـيها أجدادنا وأباؤنا فى مـدينتنا "سيـموداهور" ولهـذا ابتعـدنا عن العالم الآخـر بكل حـقده وشروره. .

ـ ياليتنى أعيش معكم فى هذه الحياة المثالية يا جولنار. .

ـ هذا ما أتمناه يا مختار. .فأنت تملك كل صفاتنا ويمكنك أن تبقى معنا فهذا يزيد من سعادتى أنا شخصياً. .

ـ وأنا أبادلك نفس الشعور يا جولنار. .ولكن ماذا عن أبى؟ إننى لا أستطيع أن أتركه ليعيش بمفرده هناك وخاصة وهو فى هذه السن. .

ـ إن تمسكك بأبيك والعيش معه خاصة عنـد كـبر سنه ليزيدنى احتراما لك يا مختار. .

ـ أشكرك يا جلنار على هذا التقدير. .

ـ إنه تقدير فى محله. .والآن يا مختار هيا بنا نتجول فى مدينتنا سيموداهور لتتعرف بنفسك على بعض أسرار حياتنا تحت الأعماق. .

ـ هيا يا صديقتى العزيزة يا سمو الأميرة جولنار. .

وخرج مختار مع جـولنار من بيت أبيها أمير البحار واستـخدما الميزوكار فى تنقلاتهما داخل المدينة حتى وصلا إلى مبنى ضخم فقالت جولنار:

ـ هذا يا مختار مبنى الأيروميز. .

ـ وما هو الأيروميز هذا يا جولنار. .؟

ـ الأيروميز هذا هو المسئول عن توافر الهواء النقى بالمدينة كلها حيث يتم هنا تفريغ الهواء المسال من الأسطوانات الحديدية وتحويله إلى هواء فى صورته الطبيعية عن طريق تخفـيف الضغط عليـه ثم يدفع فى أسطوانات كبـيرة إلى جمـيع أنحاء المدينة.

ـ وعندما ما يتحول الهـواء المسال كله إلى هواء غازى ماذا عن الأسطوانات الحديدية الفارغة؟

ـ يأخذون الأسطوانات الحديدية الفـارغة إلى مصنع تعبئـة الهواء المسال فى جزيرة كـاندهار لتمـلأ مرة أخرى ليـتم إحضـارها إلى هنا وهكذا. .حركـة دائمة مستمرة. .

ـ هناك نقطة أود أن أستفسر عنها يا جولنار. .

ـ استفسر عما شئت وسل ما شئت فـهذا الاستفسار والتساؤل من خصائص الشخص صاحب التفكير العلمى المتميز. .

ـ عندما يفسد الهواء داخل مناطق المدينة نتيجة التنفس والاحتراق وغيره ماذا تفعلون بهذا الهواء الفاسد؟

ـ سؤال يـنم عن تفكير سليم يا عـزيزى مخـتار. .هذا الهـواء الفاسـد يتم سحبه بواسطة شفاطات ضخمة ويدخل فى أجهزة ترشيح لتنقية جزء منه أما الجزء الآخر فيرسل بواسطة مضخات تدفعه إلى مزارع المدينة للاستفادة منه.

ـ مزارع!! وهل فى مدينة الأعـماق "سيموداهور" التى تقع فى قـاع البحر مزارع؟ وأين هى تلك المزارع؟

ـ اتبعنى يا مختار لكى ترى مزارع مدينتنا الجميلة. .

وانتقل مخـتار مع الأميرة جولنار بواسطة الميـزوكار إلى أطراف المدينة حيث شاهد منطقة ضخـمة مليئة بالأشجار والزروع والخضـراوات والزهور وقد أضيئت هذه المنطقة تماماً بواسـطة مصابيح قوية ترسل أشعـتها على النباتات وكأنهـا أشعة الشمس المشرقة.

وصاح مختار متعجباً:

ـ يا الله. .ما أعـجب هذا المنظر. .أيصدق عقل أن هذا الحقل الكبـير الذى يحتوى على أصناف متعددة من الأشجار والزروع والخضراوات والزهور يوجد فى أعماق البحار!!

ـ لا تستعجب يا مختار فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان عقلاً مبتكراً يستطيع به لو فكر وعمل وأتقن وابتكر أن يعمل المعجزات. فالإنسان بفكره وعلمه يستطيع أن يتحدى كل المصاعب التى تقابله فى حياته..

ـ وما أصل هذه الإضاءة الشديدة الساطعة من تلك المصابيح؟ إنها تشبه إلى حد كبير أشعة الشمس!!

ـ هذه الإضاءة الساطعة فعلاً أشعة الشمس. لأن هذه المصابيح القوية تحتوى على بطاريات شحن للطاقة الشمسية التى هى أصل كل الطاقات فى حياتنا. فعندما تشحن هذه البطاريات وهى عند سطح البحر بواسطة أشعة الشمس القوية تختزن الطاقة الشمسية منها على هيئة طاقة كهربائية فإذا ما أضيئت تلك المصابيح الخاصة بواسطة الطاقة الكهربائية المخزنة أعطت أشعة تكاد تكون مثل أشعة الشمس تماماً..

ـ وما السبب يا عزيزتى جولنار فى استخدام هذه المصابيح بالذات فى مزارعكم؟

ـ حتى تتوافر الطاقة الضوئية لعملية البناء الضوئى اللازمة لنمو النبات.

ـ وما معنى عملية البناء الضوئى هذه؟

ـ عملية البناء الضوئى يا صديقى مختار هى العملية التى يكوّن فيها النبات غذاءه بنفسه.. فالإنسان يعتمد فى غذائه على النباتات وبعض الحيوانات أما النبات فيعتمد على نفسه فى تكوين الغذاء. فالنبات يمتص الماء والأملاح الذائبة فيه من التربة الزراعية ويرسله عن طريق الجذور والساق إلى الأوراق الخضراء التى تحتوى على مادة الكلورفيل الخضراء، وأيضا فى الأوراق توجد ثغور وهى فتحات صغيرة يدخل منها الهواء المحمل بغاز ثانى أكسيد الكربون فيتحد هذا الغاز مع الماء والأملاح وبواسطة الطاقة الضوئية التى يستطع الكلورفيل الأخضر امتصاصها يتم تحويل هذه المواد إلى مواد سكرية ومواد نشوية وغيرها حيث تتوزع هذه المواد الغذائية على كل النبات وينطلق بدلاً من غاز ثانى أكسيد الكربون غاز الأكسجين الذى يمكن الاستفادة منه فى التنفس والاحتراق وغيرها. هذه هى عملية البناء الضوئى وهى أساس الحياة فى الدنيا بأسرها..

- معنى هذا يا جـولنار أنه بدون عملية البناء الضوئى فى النـبات لا نحصل على الغذاء أو الأكسجين اللازم لحياتنا . .

- نعم يا مختار نعم . .

- وكيف تعلمت كل هذا العلم يا جولنار؟

- تعلمته فى السكولتيار . .

- السكولتيار . . ما تعنى السكولتيار يا جولنار؟

- تعنى المدرسة التى يتعلم فيها الأبناء فى مدينة الأعماق سيموداهور . .

- أتوجد مدرسة فى مدينتكم يا جولنار؟

- بالطبع نعم يا مـخـتار . . فـمن أجل أن نتعلم ونـعرف ونفكر وننمـو فى جوانبنا المختلفة لابد من سكولتيار . . لابد من مدرسة . .

- وأى علوم تدرسونها يا جولنار فى تلك المدرسة؟

- كل شىء يهم حياتنا . . ولن أصف لك السكولتيار بل سأصحبك إلى هناك لترى بنفسك كيف يتعلم أبناء سيموداهور . . هيا بنا يا مختار . .

- هيا بنا يا أميرة جولنار . .

الفصل السابع
السكولتيار وأجهزة الإنذار

داخل مدينة الأعماق "سيموداهور" الضخمة تحرك مختار بصحبة الأميرة جولنار بواسطة وسيلة الانتقال الرائعة "الميزوكار" ليشاهد مختار أماكن جديدة من هذه المدينة العجيبة. فهذه بيوت وتلك مزارع وأخرى مصانع، وشاهد مختار سكان المدينة وهم يتحركون فى نشاط وحيوية ويعملون بهمة وجدية فالوقت عندهم أثمن شيء فى الحياة بل هو الحياة نفسها. ووصل مختار والأميرة جولنار إلى مبنى كبير محاط بسور قصير وجميل بداخله حدائق وملاعب وبعض المبانى المختلفة فى اتساعها. وشاهد مختار بعض الأطفال وبعض الشباب وهم يمارسون بعض الأنشطة الرياضية داخل الملاعب الخضراء. .وأمام باب المبنى الكبير قرأ مختار العبارة التالية والتى نقشت على لوحة من الأحجار الكريمة ذات الألوان البديعة:

«بالعلم والعمل بنى الأجداد مدينتنا الفريدة سيموداهور»

وقالت جولنار:

- هذه هى. .السكولتيار يا مختار. .هذه هى مدرسة مدينتنا التى يتعلم فيها الأبناء. .

- ياللعجب. .مدرسة بكل مبانيها وملاعبها تحت أعماق البحار!!

ـ فى هذه المدرسة يا مختار نتعلم كافة العلوم من لغات وحساب وعلوم وتاريخ وجغرافيا وقيم دينية. .وأهم ما يميز مدرستنا خمسة مبادئ هى أساس التربية فيها. .

ـ وما هذه المبادئ التربوية الخمسة يا سمو الأميرة جولنار؟

أهم هذه المبادئ:

أولا : الأخلاق الحميدة والسلوكات الفاضلة وعبادة الله سبحانه وتعالى بإخلاص. .

ثانيا : لا نتعلم شيئاً إلا إذا كان مفيداً لنا فى حياتنا فى أعماق البحار. .

ثالثا: عندما نتعلم دروساً نظرية فإننا ندرس تطبيقاتها العملية لتكملة ما تعلمناه فالتعلم عن طريق العمل مفيد للغاية. .

رابعا : الأنشطة البدنية والعقلية والثقافية والاجتماعية لها دور أساسى فى حياتنا المدرسية بجانب الدراسات المعتادة. .

خامسا : يشترك المتعلّمون مع معلّمهم فى تعليم زملائهم الذين يحتاجون إلى مزيد من الجهد. .

هذه يا مختار هى أهم مبادئ التعلم فى مدرستنا تلك. .

ـ يا لها من مبادئ تربوية عظيمة يا سمو الأميرة جولنار. .

ـ هيا بنا نتجول فى السكولتيار يا صديقى مختار. .

ـ هيا بنا يا أميرة جولنار. .

وداخل المدرسة شاهد مختار مع جولنار كيف يتعلم أولاد المدينة وبناتها عن طريق الدراسة والعمل. .وكيف يمارسون هواياتهم المختلفة وهم فى غاية السعادة والسرور. . وكانوا جميعاً يحيون الأميرة جولنار وضيفها العزيز مختار تحية جميلة ورقيقة. .

ومما أثار إعجاب مختار ودهشته أنه وجد أمير البحار الأمير مردار والد الأميرة جولنار فى أحد مبانى المدرسة وهو يقوم بتعليم بعض أبناء المدينة. .فقال مختار مندهشاً.

ـ والدك العزيز أمير البحار يشارك فى تعليم أبناء المدينة يا سمو الأميرة.

ـ نعم.. نعم يا مختار.. فالتعليم أساس الحياة.. فمن يستطيع أن يشارك فى هذا التعليم يشارك حتى ولو كان أمير البحار..

ـ إنها حياة اجتماعية رائعة وعظيمة تلك التى تعيشونها يا سمو الأميرة..

ـ شكرا يا مختار.. والآن وبعد أن شاهدت مدرسة مدينة الأعماق "السكولتيار" يا عزيزى مختار.. خذ هذا الجهاز..

ـ أى جهاز هذا يا جولنار؟

ـ إنه جهاز التعارف والإنقاذ يا مختار..

ـ وما فائدة جهاز التعارف والإنقاذ هذا يا جولنار؟

ـ فائدته أنك عندما تحمله تصبح واحداً من أبناء مدينة الأعماق وترصد أجهزة المدينة وجودك فى أى مكان تذهب إليه.

ـ معنى ذلك أن كل صغير وكبير فى المدينة يحمل مثل هذا الجهاز، أليس كذلك؟

ـ فعلاً يا مختار.. ولا يستطيع أى إنسان مهما كان أن يقتحم ويدخل مدينة الأعماق "سيموداهور: إلا ويتم ضبطه فوراً حيث تكشفه أجهزتنا الراصدة لعدم وجود مثل هذا الجهاز معه..

ـ هذا شىء عظيم..

ـ وكذلك يمكن فى حالة الخطر أن تضغط على الجانب الأيمن للجهاز فتصدر أصوات استغاثة: سر.. سيِ.. دو.. سر.. سيِ.. دو.. فيسرع رجال الإنقاذ لنجدتك..

ـ ولماذا تعطينى هذا الجهاز مادمت معك وبصحبتك يا جولنار..؟

ـ ولكننى سأتركك فترة من الزمن لأحضر الدروس التى أتلقاها فى السكولتيار فلقد حان موعدها الآن..

ـ وأنا.. أنا يا جولنار.. ماذا أفعل وأنت بعيدة عنى..؟

ـ تتجول بمفردك يا عزيزى مختار فى مدينتنا . .

ـ أتجول بمفردى . . وحدى . . !!

ـ نعم . . نعم . . فهذا نوع من التدريب العملى يقصد منه الاعتماد على النفس فى أثناء التحرك داخل المدينة .

ـ نعم . . نعم . . هذا شىء معقول ومنطقى . . ولكننى . . .

ـ لا تخش شيئـاً يا مختار . . فـهذا التدريب يزيد من معلومـاتك عن مدينتنا وينمى مهاراتك فى الحركة بداخلها . . وأيضاً يزيد من ثقتك بنفسك . .

ـ وهو كذلك يـا سمو الأمـيرة . . وإن كنت أشـعر بشىء من الرهبـة وعدم الاطمئنان . . كما أشعـر بأننى سأفتقدك وأفتقد صحبـتك لكننى مقتنع بمميزات هذه التجربة . .

ـ إذاً إلى اللقاء وتجول فى المدينة كيفما شئت يا عزيزى مختار . .

ـ إلى اللقاء يا عزيزتى جولنار . . إلى اللقاء . .

واختفت جولنار داخل مبانى المدرسـة "السكولتيار" وهى تلوّح لمختار بيدها تودعه . . وأخذ مـختار كذلك يلوّح لها بيـده وهو يشعر بأنه يفارق شخـصاً عزيزاً عليه بالفعل . . ومشى مختار وهو مفتقـد صحبة الأميرة جولنار واتجه ناحية الطريق العام . . واستقل الميزوكار "الذى تعود عليه" فى محاولة لاكتشاف الأماكن العديدة فى مدينة الأعماق والتى لم يشاهدها بعد . .

وفكر مختار من أين يبدأ؟ . . وبعد أن فكر وتدبر قال لنفسه :

ـ لقد قالت لى جـولنار إن هناك ثلاثة مستويات لمدينة الأعـماق . . إذاً سأبدأ بالمستوى الأول . .

وفعـلا اتجه مخـتار إلى المستـوى الأول للمدينة مسـترشدا بتلك العـلامات الواضحـة ولوحات الإشارة المميـزة والتى تدل على اتجاهات الحـركة داخل المدينة وفى المستويات المخـتلفة لها . . وأخذ يلاحظ المبانى والحدائق فى أثناء اتجـاهه ناحية المستوى الأول للمدينة ، وكان كل من يقابله من أهالى المدينة يحيّونه بابتسامة رقيقة وأدب جم ، وكان مختار يرد عـليهم تحيتهم بابتسامة رقيـقة كذلك وأدب جم أيضاً

وهو سعيد بهذا الاحترام المتبادل بينه وبين سكان مدينة الأعماق.

ووصل مختار إلى المستوى الأول وتعرف عليه حيث رآه من قبل وهو بصحبة جولنار حيث يتكون من عدة طرق متعددة تشبه الأنفاق ويعتبر القاعدة الأساسية لمدينة الأعماق. وفى أثناء تجوال مختار شاهد بعض المصانع التى تمد المدينة ببعض ما يلزمها من آلات وعدد صناعية. كما شاهد بعض العاملين فى تلك المصانع وهم يعملون بهمة ونشاط. وعندما مر مختار فى إحدى الساحات العديدة التى تميز المستوى الأول من المدينة شاهد غطاءً حديدياً دائرياً ضخماً يتحرك ويرتفع إلى أعلى وخرج من الفتحة التى كان هذا الغطاء يسدّها اثنان من سكان المدينة كانا بالأعماق ودخلا المدينة وهما بملابس الغوص السوداء اللون وقد أمسك كل منهما بالقناع الحديدى بعد أن خلعاه بينما أحذية الغطس تجعل كلاً منهما يتحرك فى بطء وبطريقة تناسب هذه الأحذية الطويلة والعريضة فى المقدمة. .وحيا مختار الرجلين فردا تحيته بأحسن منها ثم سارا داخل طرق المدينة حتى اختفيا. .ولاحظ مختار أن الفتحة التى دخل منها الرجلان لم تغلق بالغطاء الحديدى الدائرى آلياً كما شاهدها من قبل عندما دخل هو والأميرة جولنار مدينة الأعماق. ولم يعط مختار اهتماماً كبيراً بذلك حيث إن أنظمة التحكم فى تأمين سلامة المدينة من أية أخطار دقيقة للغاية. . وسار مختار فى طريقه يتفقد أماكن المستوى الأول من المدينة. .وفجأة سمع مختار صوت ماء هائل يتدفق من الخارج إلى داخل المدينة فأسرع ناحية الصوت فإذا بماء يندفع بشكل هائل من الفتحة التى لم تكن قد أغلقت بعد. .وشعر مختار بخوف شديد من هذا المنظر المروع حيث اندفعت المياه فى شكل نافورة رهيبة من الفتحة التى لم تغلق آلياً وفى نفس هذه اللحظة انخلع قلب مختار عندما سمع أصواتاً عالية متكررة لصفارات الإنذار التى انطلقت لتنبه جميع العاملين فى المستوى الأول من المدينة بضرورة ترك أماكنهم فوراً والصعود إلى المستوى الثانى من المدينة، حيث ستغلق كافة المنافذ بين المستوى الأول والمستوى الثانى بعد لحظات لضمان عدم نفاذ ماء البحر إلى المستوى الثانى للمدينة. وبسرعة جرى مختار مبتعداً عن مكان اندفاع ماء البحر وشاهد الجميع من العاملين يجرون بأقصى سرعة ناحية الطرق التى تؤدى إلى المستوى

الثانى من المدينة.

وفى أثناء ركض مختار للهروب من خطر الماء المندفع بشدة تزحلقت قدمه اليمنى ليسقط على الأرض الملساء وزحف جسمه على الأرض لمسافة غير قليلة ويصطدم رأسه صدمة غير قوية ولكنها موجعة بإحدى الأرصفة.. ورغم شعور مختار بشىء من الدوار ورغم أن قدمه اليمنى قد حدث فيها شىء من الالتواء والألم إلا أنه تحامل على نفسه وقام وأخذ يركض بعيداً عن مكان اندفاع ماء البحر وفى الاتجاه الذى يركض نحوه العاملون من سكان المدينة. وفى أثناء اندفاعه بسرعة وهو يعرج ويتألم بسبب التواء قدمه اليمنى تحسس مختار فى جيبه الذى وضع فيه جهاز التعارف والإنقاذ فلم يجده.. وعندها توقف عن الركض.. وأخذ يبحث عن الجهاز فى كافة ملابسه، لكن لم يجده.. وهمس يخاطب نفسه.

ـ الجهاز.. جهاز التعارف والإنقاذ.. أين هو؟ لقد فقدته.. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ لاشك أننى فقدته عندما تزحلقت قدمى ووقعت على الأرض..

وفى تلك اللحظة ومع أصوات الإنذار العالية المتكررة التى تصم الآذان وأيضاً مع أصوات اندفاع ماء البحر الهائل داخل المدينة ومع مشاهدته لآخر سكان المدينة وهم يهرعون إلى طريق المستوى الثانى اتخذ مختار قراره وهو العودة سريعاً إلى المكان الذى سقط على الأرض عنده لاستعادة الجهاز.. وفعلاً عاد سريعاً وهو يتحامل على قدمه اليمنى التى بدأت تؤلمه وأخذ يركض وهو يعرج ناحية المكان الذى تزحلقت فيه قدمه وقد بدأ الماء يغمر هذا المكان بشكل كبير.. ووصل مختار إلى المكان الذى ظن أنه تزحلق عنده وسقط على الأرض.. وعبثاً حاول مختار العثور على الجهاز ولكن لقيت محاولاته الفشل لأن الماء بدأ يرتفع بشكل ملحوظ حتى أنه يصعب على المرء أن يعثر فيه على شىء ما سقط منه.

ومرت اللحظات على مختار وكأنها ساعات طوال.. واحتار ماذا يفعل.. فالماء يرتفع داخل المستوى الأول للمدينة بشكل سريع.. والجهاز الذى عاد ليبحث عنه لا وجود له وصفارات الإنذار تدوى محذرة من أخطار البقاء فى قاع المدينة.. وهنا قرر مختار وقف البحث عن الجهاز والانطلاق فوراً ناحية طريق النجاة إلى المستوى الثانى للمدينة.. فأخذ يركض مرة أخرى مبتعداً عن مركز

اندفاع ماء البحر فى محاولة للوصول إلى الطريق الذى يعمل فيه الميزوكار ليستقله إلى المستوى الثانى ويفلت من هذا الخطر المحدق به، ولكن قدمه اليمنى أصبحت تؤلمه كثيراً، كما أن الماء الذى غمر الأرض التى يركض عليها صعّب من حركته وقلّل سرعته.. ومع ذلك جاهد مختار بكل ما أوتى من قوة وشاهد بعين خياله وجه جولنار وهى تشجعه على بذل مزيد من الجهد لينجو من هذا الموقف الخطر ويعود إليها. وبعد مجهود هائل وتحمل كبير للألم نجح مختار فى الاقتراب من الطريق الذى يبدأ عنده عمل الميزوكار.. وفى نفس تلك اللحظة سكتت فجأة صفارات الإنذار وانقطعت رؤية أى شخص من سكان المدينة وهم يركضون، وسمع مختار أصوات سيور حديدية وسقوف متحركة من المنطقة العلوية لمكانه، كما لمح من بعيد سيور الميزوكار الحديدية وقد توقفت عن الحركة وانخفضت الإضاءة إلى حد كبير. وهنا أدرك مختار أن الفترة الزمنية التى فتحت للأفراد الموجودين فى المستوى الأول من المدينة كى يصعدوا إلى المستوى الثانى قد انتهت، وأنه قد فاته الوقت للنجاة بسبب تأخره للبحث عن جهاز التعارف والإنقاذ، وها هى كل الفتحات التى بين المستوى الأول والمستوى الثانى بالمدينة قد تم إغلاقها بواسطة الصمامات الضخمة والتى تعمل آلياً. وأدرك مختار أن جميع العاملين والأفراد الذين كانوا فى المستوى الأول وقت انطلاق صفارات الإنذار قد صعدوا إلى المستوى الثانى إلا هو.. ووقف مختار مشدوهاً ويكاد قلبه ينخلع من صدره من قوة ضرباته بسبب شدة خوفه من الموقف الصعب الذى وضعته الأقدار فيه فليس هناك طريق إلى أعلى وها هو الماء يزحف على قدميه بسرعة كبيرة ،وما هى إلا لحظات قصيرة وسيمتلئ المكان بالماء ويغرق مختار فى أعماق البحار...

الفصل الثامن
الجزيرة

لم يكن هناك أمام مختار أى أمل فى النجاة من هذا المصير. فلقد أغلق رجال الإنقاذ كل المنافذ بين المستوى الأول والمستوى الثانى لمدينة الأعماق بعد أن انتهت المهلة اللازمة للجميع أن يفروا ويصعدوا للمستوى الثانى من المدينة. ولم يشعر أحد بأن مختار ضيف المدينة ما يزال فى المستوى الأول منها فهو الوحيد الذى تأخر فى الصعود. وحتى جهاز التعارف والإنقاذ فقده مختار عندما سقط على الأرض وهو يجرى محاولاً الفرار من هذه الكارثة. وها هى قدمه اليمنى تؤلمه بشدة بسبب الالتواء الذى حدث بها لحظة سقوطه على الأرض. وها هو ماء البحر بدأ يرتفع داخل قاع المدينة بشكل خطير وسيظل يرتفع ويرتفع حتى يمتلئ هذا المستوى من المدينة بماء البحر تماماً.

وتداعت الصور فى خيال مختار فرأى بعين خياله أباه. وجولنار. وأمير البحار. كما مرت فى خياله تلك الرحلة العجيبة فى أعماق البحار والتى لم تخطر له على بال. والتى انتهت بهذه النهاية المخيفة المفجعة والتى لا يعرف كيفية النجاة منها، ومع هذا لم ييأس مختار فقام وتحرك وحاول أن يصعد إلى الأماكن المرتفعة لعله يجد حلاً أو مخرجاً من هذا الموقف العصيب. فلا يأس مع الحياة. وفى أثناء صعوده بصعوبة بالغة حيث تؤلمه قدمه وتعوق الماء حركته وجد سلماً لأحد المبانى فتسلقه بشىء من الصعوبة ليبتعد قليلاً عن الماء المتدفق بسرعة هائلة داخل قاع المدينة. ووصل مختار لآخر السلّم فجلس يلتقط أنفاسه، وأخذ

يفكر فيما حدث. . فلولا دخول هذين الرجلين من تلك الفتحة اللّعينة لما حدث ما حدث. . ولولا خطأ الأجهزة التى تغلق الفتحات التى بين المدينة والبحر بشكل آلى لما حدث ما حدث. .

ووجد مختار أنه فى حـالته هذه لا ملجأ من هذا الموقف إلّا التوجه إلى الله سبحانه وتعالى فرفع يده داعيـاً ومناجياً ربه بهذا الدعاء الذى تعلّمه من أبيه والذى يدعو به وقت الشدّة:

ـ يارب العالمين. . أسـألك باسمك الأعظم المحـبب إليك الذى إذا دعيت به استجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا استـرحمك به مكروب فرجت كربه. . اسألك بهذا الاسم الطاهر أن تفرج كربى وتزيل هـمى وترحمنى من هذا البلاء فإنك أنت الرحمن الرحيم يارب العـالمين. . وهنا تذكر مختار قصـة النبى يونس عليه السلام عندما ألقى فى البحر وابـتلعه الحوت فدعى بدعاء أنقذه الله به مما كـان فيه حيث دعا وقال :

«لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين»

فأخذ مـختار يردد هذه الآية الكريمة وهذا الدعاء الـعظيم فى تضرع صادق لله عـز وجل وهو مؤمن تمامـاً أن الله قادر على كل شىء وأنه لن يتـخلى عنه. . وفعلاً ألهم الله تعالى عبده المؤمن مختار بفكرة صاح على أثرها قائلاً : الحمد لله وجدتها. . لقد وجدتها. .

فلقد تـذكـر مختـار هذين الرجليـن اللذيـن دخـلا المـدينة من الفـتـحة التى لم تغلق وسـببت المشكلة حيث إنـهما كـانا يرتديان ملابس الغـوص سوداء اللون ويحمـلان على ظهريهـما أسطوانات الأكسـجين. . فهنـاك احتمـال أن توجد هذه الملابس وتلك الأسطوانات فى أحـد مـبانى هذا المسـتـوى من المدينة. . وهنا رفع مختار يده حامداً وشاكراً ربه وقائلاً:

ـ أحمدك يا ربى وأشكر فضلك على ما ألهمتنى به من فكرة. .

ونهض مختار بصعوبة والماء من حوله يرتفع شيئاً فشيئاً وأخذ ينتقل من مبنى إلى آخـر وهو يبحث عن مـلابس الـغـوص وأسـطوانات الأكـسجـين ولكنـه فى محاولاتـه الأولى لم يعثر على شىء حتى وصل إلى مبنى له شكل متميز عن غيره

من المبانى فصعد إليه بمشقة بالغة حيث إن الماء كاد أن يصل إلى ارتفاعات كبيرة يصعب معها العثور على شيء وتعوق الحركة فيها إلى حد كبير. . وفى لحظة معينة صاح مختار فرحا:

ـ الحمد لله. . الحمد لله. . أحمدك ربى وأشكرك. .

فقد رأى مختار العديد من ملابس الغوص السوداء وبجوارها العديد من أسطوانات الأكسجين.

وأخذ مختار يقلّب فى تلك الملابس والأقنعة الحديدية حتى وجد ما يناسب جسمه فارتدى بسرعة ملابس الغوص التى اختارها ثم أخذ يقلّب فى أسطوانات الأكسجين فوجد معظمها فارغاً حتى عثر على أسطوانة استدل من ثقل وزنها على أن بها مقداراً مناسباً من الأكسجين فحملها فوق ظهره وأوصلها عن طريق خرطومها بالقناع الحديدى الذى ارتداه على رأسه وأحكم الغلق ثم ارتدى فى قدميه حذاء الغوص المتميز والذى يقوم بوظيفة الزعانف فى السمك. . فاكتمل بذلك ارتداء كافة لوازم الغوص فى الماء، وجاء كل ذلك فى الوقت المناسب حيث ارتفعت مياه البحر إلى درجة كبيرة للغاية. . فألقى مختار بنفسه فى الماء وأخذ يسبح فيه دون أن يخشى من الغرق فيه ولم ينس أن يأخذ معه أحد المصابيح التى تضيء له الطريق. . وهنا بدأ مختار يفكر فيما يفعله. . فأمامه فكرتان:

الأولى : أن ينتظر حتى يأتى رجال الإصلاح ليغلقوا الفتحة التى سببت هذا الموقف العصيب ثم تقوم المضخات الكبرى بطرد الماء من المستوى الأول للمدينة وتعيده إلى البحر مرة أخرى وتعود الأمور إلى وضعها الطبيعى. .

الثانية : أن يتوجه إلى هذه الفتحة ويخرج منها إلى قاع البحر ،ومن ثم يصعد إلى أعلى حتى يصل إلى سطح البحر وهناك سيرزقه الله بقارب أو سفينة تنقذه. . فالبقاء على سطح البحر أفضل من البقاء فى قاعه. .

واستحسن مختار الفكرة الثانية خاصة أن كمية الأكسجين فى الأسطوانة محدودة. . وفعلاً بدأ يتحرك فى اتجاه الفتحة التى يدخل الماء منها وكان مستوى الماء قد وصل إلى حد هائل يكاد يملأ كل المستوى الأول من مدينة الأعماق. . وعند اقتراب مختار من الفتحة شعر بتيار جارف من الماء شديد الاندفاع من البحر إلى داخل المدينة بحيث عاقه هذا التيار الشديد من الوصل للفتحة والخروج منها. .

فانتظر مختار بعض الوقت حتى لاحظ أن تيار الماء قد قلت شدته شيئاً فشيئاً حتى انعدمت قوته تماماً فأيقن مختار أن المستوى الأول للمدينة قد ملأ كله تماماً بالماء. وعندها خرج مختار من الفتحة وسار وهو يسبح فى الأعماق داخل الأنفاق التى كان قد رأها مع جولنار عند قدومهما إلى المدينة. ووصل مختار إلى الفتحة المقابلة والتى لم تغلق آلياً كذلك والتى تتصل مباشرة بماء قاع البحر فخرج منها وهنا أصبح مختار الآن خارج مدينة الأعماق : سيموداهور".

عندما بدأ مختار فى السباحة مبتعداً عن مدينة الأعماق كانت هناك بعض الأضواء المنبعثة من المدينة فأنارت له الطريق فى هذه المياه العميقة المظلمة والموحشة. وشعر مختار بقوة ضغط الماء على جسمه رغم أن ملابس الغوص التى كانت يرتديها قد خففت كثيراً من شدة هذا الضغط.

وبدأ مختار فى الصعود إلى أعلى تدريجياً شيئاً فشيئاً. وكان قد عرف من قبل أن من يغوص فى أعماق البحار عليه عندما يشرع فى الصعود من تلك الأعماق أن يصعد بصورة تدريجية وليس بصورة سريعة وإلا سيتعرض للموت بسبب تفجر الدم داخل جسمه لاختلاف تغيرات ضغط الماء على هذا الجسم بشكل سريع.

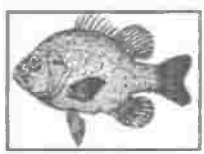

ولاحظ مختار أنه كلما ابتعد عن موقع مدينة "سيموداهور" اشتدت ظلمة الأعماق وخفت الرؤية إلى حد كبير فأخرج المصباح الكهربائى الذى حمله معه وأشعله فإذا بالضوء المشع منه ينير له الطريق إلى حد ما وهو فى الصعود التدريجى من الأعماق إلى السطح.

وفى أول الأمر لم يشاهد مختار أية أسماك أو حيوانات بحرية حيث لا تعيش معظم هذه الأسماك وتلك الحيوانات البحرية فى الأعماق المظلمة للبحار ولكن مع استمرار الصعود بدأ مختار يشاهد أنواعاً غريبة من الأسماك بطيئة الحركة التى توجد برأسها نقطة مضيئة تستخدمها فى جذب الحيوانات الصغيرة إليها حيث تقتنصها وتتغذى عليها.

كما لاحظ مختار أن أعماق البحارليست صامتة. .فها هو يسمع العديد من الأصوات مثل الطقطقة والهمهمة والقعقعة. .وقد استنتج مختار أن عالم البحار الذى يتضمن الأسماك والحيوانات البحرية له علاقاته وله اللغة التى تتفاهم بها معاً تلك الأسماك والحيوانات البحرية. .ورغم سماعه لهذه الأصوات إلا أنه كان يشعر بالرهبة والخوف بسبب وجوده وحيداً فى تلك الأعماق الموحشة. .وتذكر رحلة قدومه إلى مدينة الأعماق هو وجولنار داخل حنطور البحر "الرستور" حيث كان يشعر بالأمان وكانت تؤنس وحشته الأميرة الجميلة جولنار بنت أمير البحار. .فشتان بين رحلة الذهاب ورحلة الإياب. .واستمر مختار فى الصعود وخفت الظلمة من حوله شيئاً فشيئاً وبدأت تكثر من حوله حركة الأسماك والحيوانات البحرية صغيرها وكبيرها وبالتالى بدأت تزداد الأصوات الصادرة من هذه الأسماك وتلك الحيوانات البحرية ولاحظ مختار فى أثناء صعوده التدريجى ناحية سطح البحر باختلاف درجات الحرارة فمع بداية صعوده كانت المياه شديدة البرودة وكلما صعد تقل هذه البرودة الشديدة ويحل الدفء تدريجياً. .واستطاع مختار أن يفسر ذلك فالظلمة تصاحبها البرودة والدفء يأتى مع ضوء الشمس الذى ينفذ من سطح البحر إلى أعماق معينة ومع زيادة الأعماق يقل الضوء وتقل درجة الحرارة. وهذا يؤكد صعوبة الحياة فى أعماق البحار ما لم تتوافر الإمكانيات التى توجد فى مدينة الأعماق، ومع ذلك فالأخطار تحيط بها كما حدث فى اندفاع الماء إلى المستوى الأول من المدينة. وطال الوقت ومختار يصعد رويداً رويداً ناحية سطح البحر وكاد من طول الوقت الذى مر به أن يشعر بأنه لا نهاية لهذا الماء وأنه لا وجود لسطحه . .

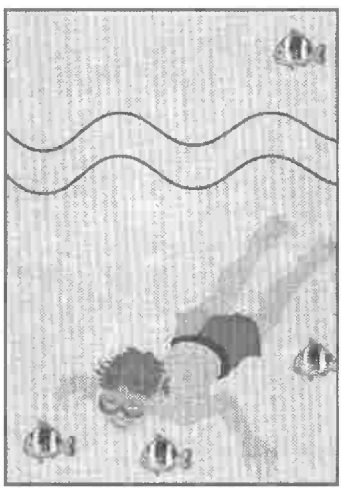

وفجأة لمح مختار عن بعد سمكة من النوع الضخم وشعر بالخطر فأخذ يحرك أقدامه ويديه بسرعة أكبر فى محاولة للبعد عنها ولكن السمكة الضخمة بدأت تقترب من مختار رويداً رويداً . .وظن مختار أنه هالك لا محالة فمع اقتراب السمكة اكتشف أنها من نوع سمك القرش الأبيض الضخم وأنها فى أى لحظة ستهجم عليه وتمزق جسده النحيل بأسنانها الحادة الرهيبة.

واقترب القرش الأبيض من مختار لدرجة أنه لو مد يده ناحيته لوضعها على رأسه. . وكاد الخوف والرعب يقضيان على مختار من هول الموقف. . واستسلم مختار تماماً لقضاء الله وقدره فهو لا يستطيع الهرب من هذا الوحش البحرى الرهيب، وليس معه أية أسلحة يدافع بها عن نفسه. .

وأغمض مختار عينيه وأخذ يتمتم مع دقات قلبه السريعة تلك الآية الكريمة التى دعا بها ربه وهو فى مدينة الأعماق : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾.

وظل مختار يردد تلك الآية وهو مغمض العينين ومتوقع فى أية لحظة أن سمكة القرش الأبيض الضخمة ستنقض عليه وتنهى حياته فى لحظات. . وعندما فتح مختار عينيه فى خوف ورعب وجد سمكة القرش أمامه كما هى ولم تفعل شيئاً ولم تهجم عليه ولم تبتعد عنه. . وحاول مختار أن يتماسك ويذهب الخوف عن نفسه ويهدأ الرعب الذى سيطر عليه. . وفى تلك اللحظة خطرت فكرة فى نفسه ظنها صحيحة. . فهذه السمكة البيضاء الضخمة تشبه تماماً "الرسبايو" التى كانت تجر عربة الرستور "حنطور البحر" والتى استأنسها سكان مدينة الأعماق. . أتكون هى بالفعل؟ لا أدرى؟ هكذا سأل مختار نفسه. . وأخذ يحدث نفسه: نعم. . نعم. . إنها هى "الرسبايو" ولكن من يضمن أنها كذلك فالأسماك متشابهة وقد لا تكون كذلك. .

وفى لحظة وبعد أن جمع مالديه من قوة وشجاعة رفع مختار يده ووضعها على رأس سمكة القرش الأبيض الضخمة وأخذ يربت على رأسها، وإذا بسمكة القرش تهتز بخفة وتتمايل كأنها ترقص رقصة هادئة على نغمات تربيت يد مختار على رأسها. . وابتسم مختار فرحاً وزال خوفه وحل محله سعادة لا توصف، ففى هذه الأعماق الموحشة وجد صديقاً يساعده ويؤنس وحشته وأخذ يكرر تربيته على رأس السمكة وهى تكرر اهتزازاتها وتمايلها ورقصاتها وتأكد مختار أن هذه السمكة الضخمة هى "الرسبايو" وأنها كما يسرت له هو والأميرة جولنار الانتقال من سطح البحر إلى قاعه حيث مدينة الأعماق فإنها سوف تساعده فى الوصول إلى سطح البحر.

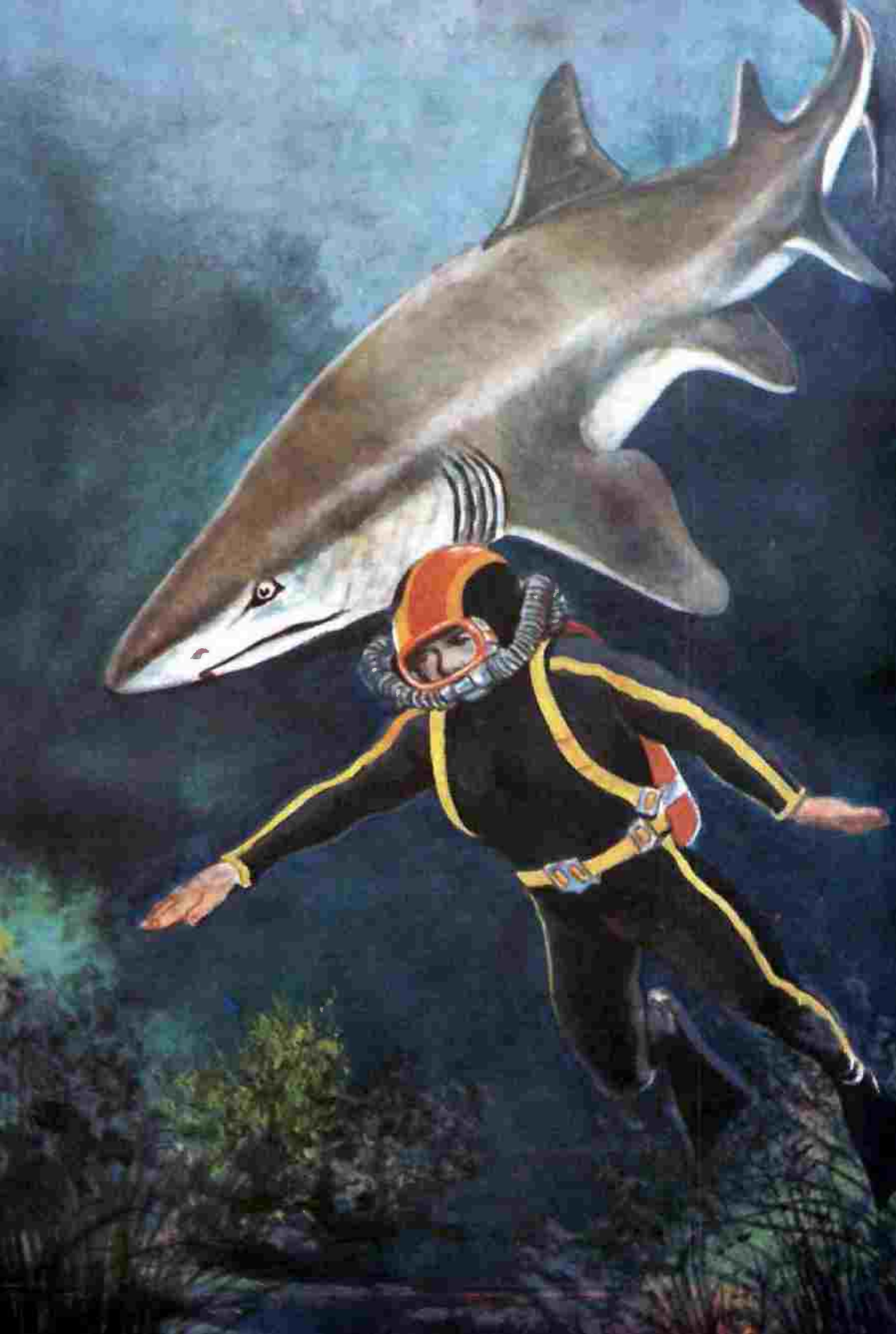

وتجرأ مختار أكثر واحتضن رأس سمكة القرش الأبيض الضخمة بكلتا ذراعيه فازدادت السمكة تمايلاً واهتزازاً ورقصاً فإذا بمختار يزداد شجاعة على شجاعته ويعتلى ظهر السمكة الضخمة ويمسك إحدى زعانفها وكأنه يعتلى ظهر حصان. وفهمت سمكة القرش ما قصده مختار وإذا بها وبكل هدوء تنساب فى ماء البحر العميق بيسر وسهولة وتتجه براكبها العزيز ناحية سطح البحر ومختار يردد فى سره وهو فى غاية الفرح : الحمد لله. الحمد لله.

وتهادت سمكة القرش الأبيض الضخمة "الرسبايو" فى أعماق البحر صاعدة إلى السطح فى هدوء وبطء كأنها تريد أن تبقى ضيفها العزيز مختار فوق ظهرها أطول فترة ممكنة. وغمرت السعادة مختار وزال عنه الخوف تماماً، وأخذ يربت بكفه على ظهر السمكة الضخمة، وأنه بذلك يشكرها ويشعرها كم هو سعيد بها.. وهى فى حركتها الصاعدة الهادئة تتمايل بخفة أحياناً كأنها ترد إلى مختار تحيته وتشعره بسعادتها من وجوده فوق ظهرها..

وكلما صعدت سمكة القرش الأبيض الضخمة إلى أعلى شعر مختار بزيادة الضوء من حوله ينير الأعماق ويبعث فيها مزيداً من الدفء.. وشاهد مختار العديد من مجموعات الأسماك المتنوعة الأشكال والحجوم والألوان فى تناسق بديع ورائع وخاصة عندما تقف كل مجموعة معاً أو تنطلق معاً. كما شاهد العديد والعديد من الحيوانات البحرية على اختلاف أنواعها وأشكالها وأحجامها حيث تمتلئ بها أعماق البحر.

وبعد رحلة ليست بقصيرة وصلت سمكة القرش الأبيض الضخمة بضيفها العزيز إلى سطح البحر.. فأغمض مختار عينيه من شدة ضوء الشمس التى كانت ساطعة فى وسط السماء والجو صحو وقد خلت من أية سحابة.. وبعد فترة وجيزة فتح مختار عينيه شيئاً فشيئاً حتى تعودت على ضوء النهار الشديد.. ونظر حوله فإذا بماء البحر يحيط به كل جانب.. وأراد أن يستنشق الهواء الطبيعى فقام بفك القناع الحديدى من على رأسه، كما خلع أسطوانة الأكسجين من على ظهره وألقى بالقناع والأسطوانة فى الماء ليعودا مرة أخرى إلى القاع.. واستنشق مختار الهواء العليل وهو مازال يعتلى ظهر سمكة القرش الأبيض الضخمة.. ونظر مرة أخرى

من حوله فى جميع الجهات فلم يجد شيئاً سوى ماء البحر الذى كان لحسن الحظ هادئاً وخالياً من أى موج. .وعلى قدر سعادة مختار بنجاته من قاع البحر على قدر ما بدأ يفكر ويقلق من الوضع الحالى الذى هو فيه. .فماذا لو رأت سمكة القرش الأبيض الضخمة أن تذهب لحال سبيلها وتتركه لتغوص مرة أخرى فى البحر. .وما هى إلاّ لحظات قصيرة حتى تحققت ظنونه وشعر أن سمكة القرش تود أن تغوص مرة أخرى فى ماء البحر وتعود إلى شئونها بعد أن أدت ما عليها من واجب توصيل مختار إلى سطح البحر ثم تذهب إلى حال سبيلها. .وفعلاً نزل مختار من على ظهر السمكة الضخمة "الرسبايو" وربت بكفه على ظهرها شاكراً لها حسن صنيعها فتمايلت السمكة وهزت جسمها فى خفة ورشاقة رداً على مداعبة مختار لها ثم تحركت وغاصت فى الماء وغابت فى أعماق البحر. .

وعاد مختار يشعر بالخوف والقلق وهو متعلق بسطح البحر بعد أن تركته سمكة القرش الأبيض الضخمة وحيداً بين الماء والسماء. .فها هو وسط البحر لايرى أى بصيص أمل، فليس هناك قارب أو سفينة، كما أنه لا يرى عن بعد أى يابسة يتجه إليها. .وقال مختار فى سره يناجى ربه:

ـ يا ربى لقد نجوت بقدرتك من الموت فى قاع البحر. .ويسرت لى الصعود إلى سطحه. .يارب أكمل رحمتك بى ونجنى مما أنا فيه فإنك قادر على كل شىء.

ووجد مختار نفسه بعد هذا الدعاء إلى رب العالمين منهوك القوى. . جائعاً. . لايدرى كيف الخلاص من هذا الموقف العصيب. .وهنا تذكر مختار فجأة الدرفيل كونيور صديق جولنار. . وتذكر كلامها عنه من أنه صديقها وصديق كل إنسان . . أى إنسان. .يساعده عندما يحتاج إليه. .

وهنا صاح مختار بكل ما عنده من قوة ينادى على هذا الدرفيل الصديق كى يسرع ويأتى إليه:

ـ كونيور. .ارتباد. .كونيور. .ارتباد. .

ولكن ذهبت صيحاته أدراج الرياح وبلا مجيب. .وحاول مختار مرات ومرات وهو يصيح بأعلى صوته:

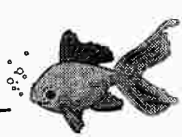

ـ كونيور . . أرتباد . . كونيور . . أرتباد . .

وأيضاً فشلت هذه المحاولات فلا مجيب لصيحاته . . وهنا تضرع مختار لرب العالمين وقال وهو يدعوه سبحانه وتعالى :

ـ يارب . . يا مجيب الدعاء . . وصّل صيحاتى إلى كونيور . .

وصاح بكل ما فيه من عزم وإصرار وقد بدأت قواه تضعف والجوع يؤثر فيه بشدة :

ـ كونيور . . أرتباد . . كونيور . . . أرتباد . .

وفجأة حدثت المعجزة وإذا بماء البحر ينشق ويظهر كونيور من بعيد وهو آت بسرعة كبيرة وتصدر منه أصواتٌ وصفير وكأنه يرد بها على نداءات مختار له .

وفرح مختار بشدة وحمد الله الذى استجاب لدعائه وأخذ يصفق فرحاً لكونيور الذى اقترب منه وصاح وهو يحيى صديقه الدرفيل :

ـ كونيور . . برساد . . كونيور . . برساد . . .

فأخذ الدرفيل يقفز قفزات رشيقة فى الهواء أشبه بالرقص وهو يصدر الأصوات والصفير وكأنه يغنى لصديقه مختار الذى ظل يصفق ويصيح :

ـ كونيور . . برساد . . كونيور . . برساد . .

واستمر الدرفيل فى قفزاته التى هى أشبه بالرقص على نغمات تصفيق مختار . . وبعد فترة هدأ الدرفيل الكبير واقترب من مختار الذى أخذ يمسح على رأسه ويقبلها ويقول :

ـ كونيور أيها الصديق العزيز لكم أنا سعيد بك ولكم أنا مشتاق إليك لتنقذنى مما أنا فيه فأنت نعم الصديق والصديق الحقيقى يعرف وقت الشدة . .

فاهتز الدرفيل فى خفة هزة خفيفة وكأنه فهم كلمات مختار وما هى إلا لحظات حتى هيأ كونيور جسمه ليركب مختار على ظهره وفهم مختار ما يقصده الدرفيل العزيز فامتطى ظهره وأمسك به جيداً فإذا بالدرفيل يسبح بمختار على سطح البحر فى خفة ورشاقة وسرعة واتزان بحيث يبقى ظهره الذى يمتطيه ضيفه العزيز فوق سطح الماء دائماً . .

واستمر هذا الحال لفترة طويلة من الزمن ومختار يتمتم فى سعادة:

ـ الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله الذى سخر لى هذا الدرفيل العزيز لينقذنى مما أنا فيه.. ونظر مختار ناحية الأفق البعيد فإذا به يشاهد جزيرة تبدو فيها الأشجار والنخيل فهتف من قلبه: الله أكبر.. الله أكبر..

واقترب كونيور وهو يحمل مختار من الجزيرة شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى منطقة قريبة من أرض الجزيرة فنزل مختار من على ظهر الدرفيل واحتضن رأسه وقبلها وهو يردد:

ـ كونيور برساد.. كونيور برساد..

ثم تركه وسبح مسافة قليلة حتى وصل إلى أرض الجزيرة ثم لوّح بيده للدرفيل المخلص كونيور وأخذ يكرر صياحه:

ـ كونيور برساد.. كونيور برساد..

ومن أجل هذه الصيحات المحببة إلى نفسه أخذ الدرفيل يقفز فى الهواء ويسبح بظهره فى حركات أشبه بالرقص وهو يصدر أصواتاً وصفيراً تدل على سعادته ثم أخذ يبتعد رويدا رويدا وهو مازال يحيى مختار حتى اختفى بعيداً فى ماء البحر. وخطا مختار أولى خطواته على تلك الجزيرة ثم مالبث أن سجد على الأرض شاكراً الله تعالى الذى استجاب لدعائه وشمله برحمته وأنقذه من موت محقق..

ثم قام مختار من سجدته فى محاولة ليكشف حقيقة هذه الجزيرة التى تدوسها أقدامه لأول مرة فى حياته.. وما هى إلا بضع خطوات حتى وصل إلى جذع نخلة طويلة من نخيل جوز الهند التى يمتلئ بها شاطئ الجزيرة.. وكان التعب والإجهاد والجوع قد نالوا منه إلى حد كبير جداً.. فإذا به يجلس عند جذع هذه النخلة ويغمض عينيه ويروح فى نوم عميق.

الفصل التاسع

حلم تحقق

لم يستيقظ مختار إلا فى ظهيرة اليوم التالى، وعندما فتح عينيه كانت ظلال نخيل جوز الهند تداعب وجهه الوسيم، فنهض من رقدته وهو يشعر بجوع شديد فأخذ يتوغل داخل دروب الجزيرة وتحت أشجارها، فوجد أن بعض هذه الأشجار مثمرة. فاقترب من إحدى الأشجار فإذا بها شجرة تفاح وقد تدلت منها ثمار التفاح الناضجة ذات اللون الأحمر الوردى الجميل، فقطف واحدة منها، وقبل أن يأكلها نظر أسفله فوجد جدولاً من الماء الصافى ينساب فى هدوء بين الأشجار والنباتات، فاختبر طعمه فإذا بماء هذا الجدول فى غاية العذوبة والنظافة، فغسل التفاحة وأكلها ثم اغترف بيده من ماء الجدول وشرب حتى ارتوى تماماً وحمد ربه على هذه النعم.

وصعد مختار على ربوة عالية فى الجزيرة كى يتعرف على مدى اتساعها وعلى تضاريسها ودروبها فلاحظ أنها مليئة بالأشجار ذات الأشكال والأنواع والأحجام المختلفة، كما أن المكان حوله ليس كله أشجارا ونباتات بل تتخلله بعض المناطق الجبلية والصخرية. وتأكد مختار أن هذه الجزيرة واسعة للغاية وما يراه منها هو جزء صغير أما الجزء الأكبر من الجزيرة فيقع فى الناحية الأخرى التى لا يراها لأن الأشجار العالية المتشابكة والمناطق الجبلية الوعرة تحجب رؤية هذا الجزء الآخر. كما شاهد مختار أصنافاً من الزواحف تتحرك هنا وهناك وشاهد أيضاً أصنافا من الطيور تطير هنا هناك بألوان مختلفة وبديعة ويصدر منها أصوات مختلفة النغمات

وإن كان بعضها جميلا آنس مختار فى وحدته..

واقتنع مختار بأن يبقى عند الشاطىء لعله يشاهد سفينة تنقذه أو قارباً يستنجد به ليغادر هذه الجزيرة الموحشة ويعود إلى بلده ووالده.. وأخذ مختار يفكر ويتذكر ما حدث له.. وظهرت فى صفحة خياله صورة الأميرة الجميلة جولنار بنت أمير البحار.. وتساءل بينه وبين نفسه : هل يمكن أن ألتقى مرة أخرى بالأميرة جولنار؟ هل سأشاهدها مرة أخرى؟ إنه حلم من الأحلام يصعب تحقيقه فأين أنا منها الآن وقد فرقت بيننا المسافات الشاسعة.. وحرمتنا الأقدار من أن نكون معاً.. ولكن الحمد لله على كل حال إنه يمكن لى أن أعيش هنا على ثمار الأشجار من فاكهة وجوز هند حتى يمنّ الله علىّ وينقذنى مما أنا فيه.

واستمر مختار على هذا الحال ثلاثة أيام.. يأكل من ثمار الأشجار ويشرب من ماء الجدول ويراقب البحر لعله يشاهد إحدى السفن التى يمكن أن تنقذه من هذه الجزيرة ولكن دون جدوى. وفكر مختار فى أن يترك مكانه على الشاطئ ويحاول اختراق الجزيرة والذهاب إلى الجانب الآخر منها.. ونفذ مختار ما فكر فيه وتحرك بالفعل فى وسط الأشجار المتشابكة متسلقاً الصخور الضخمة العالية.. وقد وجد مشقة بالغة وبذل مجهوداً كبيراً فى محاولته هذه. وعندما وصل إلى صخرة عالية أراد أن يستريح بعض الوقت ليلتقط أنفاسه. وبينما هو جالس مسنداً ظهره على تلك الصخرة العالية إذا بثعبان ضخم رهيب يخرج من بين الصخور والأحراش لا يقل طوله عن خمسة أمتار وتبدو سماكة جسده وكأنه جذع شجرة وجلده مزركش بألوان عديدة ويزحف على الأرض ورأسه مرفوع عن الأرض حوالى نصف المتر ويصدر منه أصوات مخيفة.. وما أن رأى مختار هذا الثعبان المرعب حتى تسمرت جميع أجزاء جسمه وماتت الصرخة على شفتيه فلم تنطلق.. وجحظت عيناه وتجمدت الدماء فى عروقه ولم يقو على الحركة وكأن المفاجأة قد شلت حركته تماماً من شدة الخوف حيث توقع أن هذا الثعبان الرهيب سوف ينقض عليه لينهى حياته فهو هالك لا

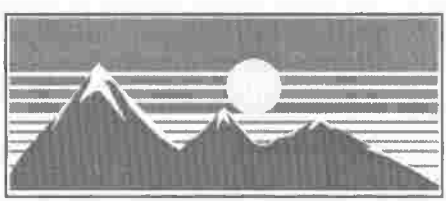

محـالة، وفى هذه اللحظة ندم مـختار على تركـه الشاطئ ومـخاطرته فى عـبور الجزيرة للوصول إلى الجانب الآخر لها. .لكن فات أوان الندم. .وفى الوقت الذى توقع فيه مختار هجوماً عليـه من هذا الثعبان المارد إذا بأرنب برى يعبر المكان جرياً بجوار الصخور والأحراش التى خرج منها الثـعبان، وفى لمح البصر انقض الثعبان المرعب على الأرنب البـرى التعس وغرس أنيـابه فى جسـده، وما هى إلا لحظات حاول فيهـا الأرنب الفكاك من أنياب الثعبان لكن باءت مـحاولاته بالفشل الذريع فاستسلم لمصيره المحتوم فابتلعـه الثعبان الضخم بأكمله. وهنا لاحت فرصة النجاة لمختار وتحركت الدماء فى عروقه واستعـاد قوته المفقودة ومنحه الله عز وجل فرصة غالية لينجو بنفسه بعد أن أنشغل الثعبان الرهيب بابتلاع الأرنب البرى. وفى لحظة قام مختار من جلسـته وأطلق لساقه العنان ليسابق الريح مبتـعداً عن مكان الثعبان ومتـوجهاً إلى مكانه الأول عند الشـاطئ. .ولم يتوقف مخـتار عن الجرى بسـرعة حتى وصل بالفعل إلى مكانه بالشاطئ وارتمى أسفل إحدى أشجار جوز الهند التى يزخر بها شاطئ الجزيرة وأخذ يلتقط أنفاسه وهو عاقد العزم على عدم تكرار تلك المحاولة.

وبعد عدة أيام لم تظهر أمام مختار أية بارقة أمل ففكر فى حل آخر للوصول إلى الجانب الثانى للجزيرة وهو أن يصنع طوفـاً من فروع الأشجار المتناثرة ويربطه بألياف النخيل المتبـعثرة هنا وهناك. وبعد عمل شاق استـغرق يومين كاملين صنع مختـار طوفاً جيداً واتخـذ من إحدى فروع الشجـر مجدافاً ليـحرك به الطوف فى الماء. وجر الطوف حـتى أوصله لماء البحر ثم ركـبه وأخذ يحرك المجـداف فى ماء البحر فتـحرك الطوف الخشبى ببطء فى الماء. وابتعد مخـتار وهو يعتلى طوفه عن شاطئ الجزيرة ثم بدأ يدور حول الجزيرة سعيـداً بنجاح تلك المحاولة. وظل مختار ساعات طويلة يبذل كل جهده فى تحريك طوفه فى مسار دائرى حول الجزيرة حتى غربت الشـمس وجاء الليل وحل الظلام. وشـعر مخـتار بخوف ورهبـة فالظلام حالك وقد تعب كثيراً من التجديف المستمر وحل عليه الضعف ولم يدر ماذا يفعل فى وسط هذا الظلام وتساءل بينه وبين نفسه.

هل أخطأت مرة أخرى بترك مكانى على شاطئ الجزيرة؟ وما هى إلا لحظات حتى انشق ماء البحر فجأة بالقرب من الطوف الذى يحمل مختار وإذا به فى وسط

هذا الظلام يشاهد وحشاً هائلاً يظهر من أعماق البحر له جسم كالجبل وله عينان كبيرتان يشع منهما ضوء شديد. وشهق مختار شهقة عالية أتبعتها صرخة فزع عالية من هول ما رأى ومالبث أن شعر بدوارشديد واهتز الطوف من تحت قدميه فسقط على خشب الطوف وارتطمت رأسه به ففقد الوعى. . وآخر ما شعر به مختار قبل أن يفقد وعيه تماماً هو اهتزاز الطوف بشدة نتيجة لاضطراب ماء البحر بشدة أثر ظهور هذا الوحش الهائل من قاع الماء، وكذلك منظر هذا الوحش الضخم وعيناه الكبيرتان والأضواء النارية تنبعث منهما.

لم يدر مختار ماذا حدث له بعد أن فقد وعيه، كما لم يدر كم لبث من الزمن وهو على هذا الحال. وعندما فتح عينيه ظن للوهلة الأولى أنه ما زال على الطوف الخشبى. .ولكن عندما بدأ يركز ويتفحص ما حوله تعجب مما هو فيه. فقد وجد نفسه يرقد على سرير أبيض وفى حجرة نظيفة للغاية ويرتدى ملابس جديدة، كما شاهد بجوار السرير وعلى مقعد خشبى تجلس فتاة جميلة الملامح ترتدى ملابس الممرضات البيضاء وكأنها ملاك من ملائكة الرحمة. وابتسمت الفتاة ابتسامة رقيقة مشرقة عندما رأت مختار يفتح عينيه. وظن مختار أن ما يراه حلم من الأحلام فأغمض عينيه مرة أخرى، ثم ما لبث أن فتح عينيه ليجد نفس الحجرة ونفس الفتاة بابتسامتها المشرقة فأيقن أن ما يراه ليس حلماً بل هو واقع يعيشه بحواسه. ولكن كيف أتى إلى هذا المكان؟ وماذا حدث له؟ وأين الطوف الخشبى؟ وماذا فعل الوحش الهائل به؟ وعرفت الفتاة ما يدور بخلده من نظرات عينيه فبادرته قائلة فى صوت عذب رقيق :

ـ نحمد الله على سلامتك يا ضيفنا العزيز مختار.

فانفلت من فم مختار شهقة ضعيفة تعجباً ودهشة وتساءل :

ـ من أنت؟ وكيف عرفت اسمى وأنا لما أشاهدك من قبل إلا الآن؟ وأين أنا؟ وكيف أتيت إلى هنا؟

ـ ستعرف كل شىء يا عزيزى مختار. ومع هذه المعرفة سيزول تعجبك فإذا عرف السبب بطل العجب. .بالنسبة لى فاسمى سونيتار وأنا المسئولة عن التمريض فى هذه الدار، أما أين أنت الآن. .فأنت فى جزيرة كندهار. .

فصاح مختار بسعادة :

ـ جزيرة كندهار التابعة لمدينة الأعماق "سيموداهور"؟

ـ نعم.. نعم يا عزيزى مختار.

ـ أنتم إذاً تتبعون أمير البحار وابنته سمو الأميرة جولنار؟ أليس كذلك يا عزيزتى سونيتار؟

ـ نعم.. هو كذلك يا عزيزى مختار.

ـ ولكن كيف أتيت إلى هنا؟ وأين الطوف الخشبى؟ وأين الوحش الهائل ذو العيون النارية التى يشع منها الضوء المرعب؟ أرجوك أن تخبرينى عن كل شيء.. كل شيء أيتها الملاك الرحيم سونيتار..

ـ بكل سرور، ولكن أولاً عليك أن تهدأ ولا تنفعل وستعرف كل شيء. هذا الذى حسبته وحشاً كاسراً ضخماً لم يكن سوى الغواصة "فاروستين" التى كانت تجوب البحار بحثاً عنك.

ـ بحثاً عنى أنا !!

ـ نعم.. نعم.. سأروى لك باختصار ماذا حدث..

واعتدل مختار فى جلسته على السرير وقد تملكته سعادة غامرة حيث تجدد حلمه الكبير فى أن يرى الأميرة جولنار مرة أخرى وقال :

ـ كلى آذان صاغية لك يا عزيزتى سونيتار..

وبدأت سونيتار تقص بصوتها العذب الرقيق ومختار يستمع فى سعادة :

ـ عندما كنت فى مدينة الأعماق "سيموداهور: وغرق المستوى الأول منها لم يلاحظ أحد أنك لم تهرع إلى المستوى الثانى من المدينة وقت إطلاق صفارات الإنذار وظن الجميع أنه ليس هناك أى فرد بالمستوى الأول لحظة إغلاق الفاصل بينه وبين المستوى الثانى للمدينة. وبعد إتمام إصلاح الفتحات التى سببت المشكلة وإخراج الماء من هذا المستوى مرة أخرى بحثوا عنك فى كل مكان بالمدينة فلم يعثروا عليك وتأكد لهم أنك كنت بالمستوى الأول من المدينة لحظة غرقه بالماء حيث تم العثور على جهاز التعارف والإنقاذ الخاص بك، وهنا أيقن الجميع بأنك قد غرقت فى هذا الحادث الأليم.

ـ نعم.. نعم يا عزيزتى سونيتار لقد كدت أغرق بالفعل ولكن الله سبحانه وتعالى قدر لى النجاة وشاء أن أظل على قيد الحياة.. ولكن كيف عرفتم بأننى

مازلت حياً ولم أغرق؟

ـ لقد تم التقاط إشارات رمزية من سمكة القرش الأبيض : "الرسبايو" والدرفيل الصديق "كونيور" تفيد بأنهما قاما بإنقاذ إنسان مَّا فتجدد الأمل بأن يكون هذا الإنسان هو أنت يا عزيزى مختار.

ـ نعم كنت أنا وقد سخر لى الله تعالى هذه الحيوانات البحرية الطيبة كى ينقذونى من الموت غرقاً..

ـ وجاءت أوامر أمير البحار الأمير مردار واضحة بأن تجوب الغواصة "فاروستين" قاع البحر وسطحه بحثاً عنك حتى تم العثور عليك بعد عدة أيام حياً على طوف خشبى بدائى بجوار جزيرتنا كندهار..

ـ الحمد لله... الحمد لله.. وماذا عن سمو الأميرة جولنار؟

ـ لقد عرفت بعثورنا عليك حياً وفرحت كثيراً وهى الآن فى طريقها إلينا..

فصاح مختار وهو فى غاية الفرح والسعادة..

ـ الأميرة جولنار فى طريقها إلينا فى جزيرة كندهار؟

ـ نعم..نعم بعد قليل ستكون معنا على أرض الجزيرة.

ـ يالها من فرحة..وياله من حلم كنت أظنه مستحيلاً ولكن بفضل الله تعالى سيتحقق.

ـ والآن يا عزيزى مختار ألا تشعر بالجوع..

ـ نعم أشعر بالجوع وإن كانت سعادتى قد أنستنى إحساسى بالجوع..

ـ إذهيا بنا إلى قاعة الطعام لنقدم لك أفضل المأكولات وأشهى الأطعمة..

ـ هيا بنا أيتها الملاك الرحيم سونيتار..

وفى قاعة الطعام الملحقة بدار الاستشفاء فى جزيرة كندهار جلس مختار ليتناول أفضل المأكولات وأشهى الأطعمة وألذ الفواكة والمشروبات..

وبعد أن تناول مختار الطعام حمد الله ثم سأل سونيتار :

ـ عزيزتى سونيتار..لقد ذقت الآن لحماً مشوياً رائعاً فى طعمه فهل هذا اللحم من لحوم الأسماك أو حيوانات البحر؟

ـ لا يا عزيزى مختار..

ـ إذًا فهو لحم بقر أو جاموس أو ماعز أو إبل أليس كذلك؟

ـ لا هذا ولا ذاك يا عزيزى.

ـ أيكون لحم غزال أو أو أحد الطيور؟

ـ وأيضاً ليس كذلك.

ـ بالله قولى لى يا عزيزتى سونيتار من أين هذا اللحم الشهى اللذيذ الطعم.

ـ إنه من البترول..

وصاح مختار متعجباً :

ـ من البترول !! كيف؟

ـ إن لدينا فى هذه الجزيرة مصنعاً لإنتاج اللحوم البروتينية يقوم بتصنيع هذه اللحوم من البترول الذى نستخرجه من بئر اكتشفناها هنا بالجزيرة.

ـ اخبرينى بالله عليك..كيف يأتى هذا اللحم اللذيذ من البترول؟

ـ الأمر فى غاية البساطة يا عزيزى مختار..فلقد اكتشف أحد الباحثين العلماء من سكان مدينة الأعماق "سيموداهور" أن هناك أنواعًا من الكائنات الدقيقة التى تعرف باسم "البكتريا" هى من أنشط الكائنات الحية. ووجد أن هذه البكتريا تتغذى بشكل أساسى على سائل البترول وبالتالى تنمو البكتريا من هذا الغذاء الملائم لها وتكوّن كتلاً من اللحم البروتينى وبالتجريب تم التأكد من أنه أفضل اللحوم فى طعمها وأصحها فى مكوناتها.

ـ يالأهمية العلم..ولكن يا عزيزتى سونيتار ألا يشعر الإنسان بشىء من النفور من هذا اللحم عندما يعرف مصدره الأساسى.

ـ يا عزيزى مختار إن النباتات والحيوانات التى نتناولها فى طعامنا فى أغلب الأحوال تكون قد تكونت من مواد وعناصر غذائية لا نقبلها غذاء لنا..فمثلاً الأبقار تتغذى على الحشائش وعلى نباتات لا نأكلها مثل البرسيم ولكنها تعطينا اللبن الذى نشربه ونصنع منه العديد من المنتجات الغذائية، كما تعطينا اللحم اللذيذ الطعم..وكذلك النحل الذى يمتص رحيق الأزهار نأخذ منه عسل النحل حلو المذاق وأيضاً فيه شفاء للناس كما قال الله تعالى..أى أن النباتات والحيوانات عندما تتغذى على مواد غير مقبولة لنا تحوله فى أجسامها إلى مواد مقبولة وهذا ما تفعله البكتريا التى تتغذى على البترول الذى لا يصلح غذاء لنا ولكنها تحوله

إلى لحم بروتينى صناعى طيب المذاق شهى الطعم..

ـ فهمت الآن يا عزيزتى سونيتـار..معنى هذا أنه يمكن أن ننتج لحوماً عالية فى قيمتها الغذائية وهى فى نفس الوقت رخيصة الثمن..

ـ هذا بالفـعل ما نسعى إلـيه..فالعلم يـا ضيفنا العـزيز يستطيـع أن يحقق للإنسان آفاقاً جديدة سواء فى مأكله أو مـشربه أو فى مسكنه وأيضاً فى الترفيه عنه بحيث يجعل هذا الإنسان يعيش حياة أفضل تتميز بالمتعةوالسعادة..

ـ ما أروع العلم والمعـرفة..أعدك يا عزيزتى سونيـتار أن يكون طريق العلم والمعرفة هو طريقى فى الحياة ما دمت حيا..

ـ خير ما قررت يا عزيزى مختار..

وفى هذه اللحظة دخل الفتى مريار على سونيتار ومختار وقال معلناً :

ـ الأخت سونيتار..لقد وصلت الغواصة :فاروسـتين" وعليها سمو الأميرة جولنار..

فصاح مختاراً مهللاً فى سعادة :

ـ سمو الأميرة جولنار وصلت الجزيرة!!

وبسعادة وبابتسامة مشرقة قالت سونيتار :

ـ أهلاً ومرحباً بسـمو الأميرة جولنار فى جزيرتنا "كندهار"، هـيا يا ضيفنا العزيز مختار، هيا بنا نستقبل سمو الأميرة جولنار..

ـ هيا بنا يا ملاك الرحمة يا عزيزتىَ سونيتار..

وخرج الثلاثة متوجهين ناحية شاطئ الجزيرة لاستقبال الأميرة جولنار. وسار مختار بين سونيتار والفتى مريار وهو لا يكاد يصدق نفسه..هل صحيح أنه سوف يقـابل الأميـرة جولنار مـرة أخرى..لـقد كـان هذا فى وقت من الأوقات حلمـاً

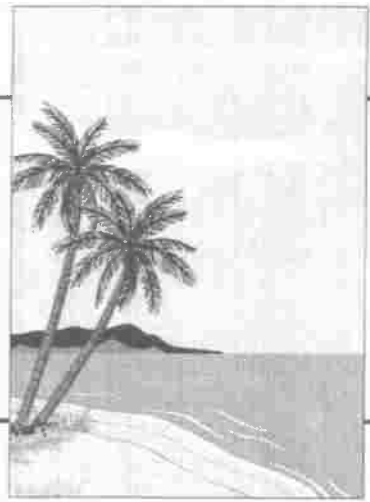

الفصل العاشر
العودة

وصل مختار وسونيتار ومريار ومعهم جماعة من سكان الجزيرة إلى الشاطئ لاستقبال الأميرة جولنار التى كانت تجلس فى قاعة الاستقبالات بشاطئ جزيرة "كندهار"، وكان يجلس معها فريق قيادة الغواصة "فاروستين". وعندما رأت جولنار مختاراً قادماً من بعيد تهلل وجهها بابتسامة جميلة وقامت من جلستها وأسرعت إليه لتسلم عليه. وعندما لمحها مختار أسرع فى خطاه وهو أكثر تلهفاً على لقائها وبادرها قائلاً :

ـ أهلاً سمو الأميرة جولنار..

ـ أهلاً بك أنت يا عزيزى مختار. وأحمد الله على سلامتك ونجاتك من موت محقق..

ثم التفتت جولنار ناحية رئيسة التمريض وقالت :

ـ أهلاً يا عزيزتى سونيتار..

فردت سونيتار عليها وقد انحنت قليلاً تحية للأميرة :

ـ أهلاً بك يا صاحبة السمو فى جزيرة كندهار..

ثم أخذت جولنار تسلم على مستقبليها من أهل الجزيرة وهم يردون على سلامها وتحياتها بأفضل الكلمات وأرق المشاعر مما يؤكد حبهم وتقديرهم لها.. وما هى غير لحظات حتى حضرت عربة بسيطة الهيكل جميلة المنظر يجرها حصان

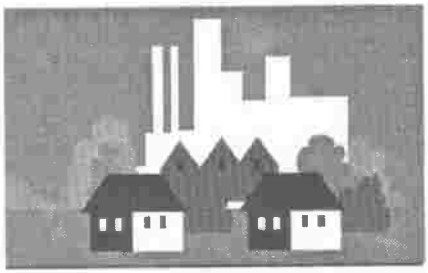

أبيض يسر الناظرين. . وهنا لوحت جولنار بيدها لتحية الجميع ثم ركبت هى ومختار وسونيتار العربة التى قادها سائقها وهو سعيد ومسرور بقدوم الأميرة جولنار. . وبعد بضع دقائق وصلت العربة الأنيقة التى يجرها الحصان الأبيض البديع المنظر إلى بيت الضيافة بالجزيرة فنزلت جولنار ومختار وسونيتار من العربة. ثم استأذنت سونيتار لتذهب إلى مكان عملها فى دار الاستشفاء وتركت الأميرة مع مختار الذى بادرها بعد استقبال العاملين فى بيت الضيافة لهما الاستقبال اللائق قائلاً :

- إننى لا أستطيع أن أصف لك مقدار سعادتى يا عزيزتى جولنار. .

- بل إن سعادتى أنا بلقائك لا توصف بعد أن فقدت الأمل فى العثور عليك حياً فترة من الزمن. . هل يمكن أن أعرف ما حدث لك يا مختار منذ اللحظة التى تركتك فيها عند السكولتيار حتى رأيتك منذ قليل عند شاطئ الجزيرة؟

- بكل سرور يا عزيزتى جولنار. .

وأخذ مختار يروى للأميرة جولنار ما حدث له منذ تركها عند السكولتيار وذهب إلى المستوى الأول من مدينة الأعماق، وكيف فقد جهاز التعاون والإنقاذ فى أثناء محاولته الفرار من الماء المندفع من الفتحات التى تعطلت فجأة، وأنه قد عاد ثانية للبحث عن الجهاز ولم يجده وكان سبب تأخره ليبقى وحيداً. يواجه بمفرده هذا الماء الهائل المندفع. . وروى لها كيف تصرف فى هذا المأزق القاتل وكيف عثر على ملابس الغوص وأسطوانة الأكسجين وكيف خرج من قاع المدينة. . وحدّثها كيف ساعدته سمكة القرش الأبيض الضخمة "الرسبايو" فى الصعود إلى سطح البحر، وكيف التقى بالدرفيل الصديق "كونيور" بعد أن نادى عليه، وأخبرها عن دور كونيور فى وصوله إلى شاطئ جزيرة كندهار المهجور. . وماذا حدث له فى الجزيرة الموحشة وكيف كان سيلقى حتفه بواسطة الثعبان الضخم لولا عناية الله. . وكيف صنع القوف وحاول به أن يدور حول الجزيرة حتى عثرت عليه الغواصة "فاروستين" فاقداً للوعى ثم أودعوه دار الاستشفاء بالجزيرة تحت رعاية

ملاك الرحمة مسئولة التمريض :سونيتار" التى بالغت فى العناية والرعاية به. .وأنهى مختار حديثه للأميرة جولنار قائلاً :

ـ هذا كل ما حدث لى منذ تركت حتى الآن. .

ـ أحمد الله تعالى أنك سليم معافى بعد كل هذه الأحداث الخطيرة، ،لقد كنت أنا وأبى أمير البحار فى غاية الحزن والأسى لما حدث لك. .

ـ هل يمكن أن تروى لى ما حدث لك منذ حادثة دخول الماء إلى المستوى الأول لمدينة الأعماق.

ـ على الرحب والسعة.

وبدأت جولنار تقص لمختار ذكرياتها المؤلمة لما حدث فقالت :

ـ بعد أن تركتنى فى السكولتيار انشغلت فى العمل المدرسى. .وبعد فترة من الزمن سمعنا وسمع كل سكان المدينة صوت صفارات الإنذار العالية فشعرت بإحساس غريب أنك فى خطر فقلت لأبى أمير البحار :

ـ أبى إننى أشعر بأن ضيفنا مختار فى خطر. .

فهون أبى علىّ وحاول أن يزيل مشاعر الخوف عندى وقال لى :

ـ لاتخافى عليه يا جولنار فهناك من سيساعده إذا كان فى خطر كما أن معه جهاز التعارف والإنقاذ يمكن عن طريقه أن نستدل على مكانه وننقذه مهما كانت الأحوال. .

وعندما عرفنا أن المستوى الأول من المدينة يمتلئ بالماء وأن الجميع قد صعدوا إلى المستوى الثانى لم يدر أحد منا أنك ما زلت فى المستوى الأول تحاصرك المياه من جميع الاتجاهات. .وقد جاء الأمر بإغلاق جميع المنافذ بين المستوى الأول والثانى للمدينة حيث بدأ الماء يرتفع بشكل خطير ويهدد المدينة بأسرها. .وبعد إغلاق كل المنافذ بدأنا فى البحث عنك فى جميع أنحاء المدينة ولكن لم نعثر على أى أثر لك. .وتأكد للجميع أنك كنت فى المستوى الأول للمدينة لحظة غلق المنافذ. .وكان من المستحيل فى ذلك الوقت فتح أى منفذ لأن هذا كان يعنى غرق

المستوى الثانى للمدينة وفى هذا خطر شديد على كل المدينة.. وبكيت كثيراً وحزنت كثيراً لأننى ظننت أنك أصبحت فى عداد الموتى..

ـ وبعد إصلاح الفتحات الآلية التى سببت المشكلة وإخراج الماء من المستوى الأول للمدينة بالمضخات العملاقة وعادت الأمور إلى وضعها الصحيح تم العثور على جهاز التعارف والإنقاذ الذى أعطيتك إياه.. وهنا ضاع كل أمل فى العثور عليك حياً وتأكدنا جميعاً أننا فقدناك.. وضاعف حزنى عليك وأسفى أننى تركتك فى المدينة بمفردك مما أدى إلى إصابتى بالمرض والحمى واحتار الأطباء فى علاجى.

وهنا سأل مختار :

ـ ولكن كيف عرفتم أننى على قيد الحياة؟

ـ تم التقاط ذبذبات صوتية من سمكة القرش الأبيض "الرسبايو" تم ترجمتها فأفادت أنها ساعدت إنساناً وصعدت به إلى البحر.. وكذلك تم التقاط ذبذبات صوتية مماثلة صادرة من صديقى الدرفيل "كونيور" تم ترجمتها فعلمنا أنه ساهم فى إنقاذ إنسان كان فى وسط البحر...

ـ نعم... نعم كنت أنا بالفعل هذا الإنسان ياجولنار.. ولن أنسى ماحييت فضل سمكة القرش الأبيض "الرسبايو" وفضل صديقى الدرفيل "كونيور" فى إنقاذ حياتى من الغرق.. والآن هيا أكملى ياجولنار وماذا بعد المعلومات التى توصلتم إليها من الذبذابات الصوتية للرسبايو وكونيور؟

ـ هنا تجدد الأمل فى أنك مازلت على قيد الحياة.. وقد أعطانى هذا الأمل طاقة أزالت مرضى وأزالت حزنى.. فأصدر والدى أمير البحار أمراً إلى قادة الغواصة "فاروستين" بالبحث عنك فى كل مكان واستخدام كافة الأجهزة الحديثة فى ذلك.. وبعد عدة أيام من القلق والترقب جاءتنا البشرى بالعثور عليك حياً على شاطئ جزيرة كندهار فسعدنا بذلك أيما سعادة.. وأمر والدى قادة الغواصة "فاروستين" بالعودة إلى مدينة الأعماق لكى أستقلها وأحضر إلى هنا فى جزيرة كندهار لأراك مرة أخرى..

وها نحن معاً بعد أن ظننت فى وقت ما أننى لن أراك أبداً يا صديقى العزيز..

ـ الحمد لله أننا أصبحنا معاً يا صديقتى العزيزة جولنار . فهذا أمل تحقق بعد أن كدت أظنه مستحيلاً . .

وبعد فترة من الراحة قضتها الأميرة جولنار من عناء السفر من مدينة الأعماق "سيموداهور" حتى جزيرة "كندهار" اقترحت جولنار على مختار نزهة معاً لرؤية معالم الجزيرة فسعد مختار بهذا الاقتراح . .

وانطلق مختار وجولنار فى نزهة عبر الجزيرة . . وأخذا يسيران فى طرق مرتفعة تارة وهابطة تارة أخرى ومن حولهما الأشجار والنخيل والنباتات الخضراء والزهور الجميلة فى تنسيق بديع وهى تملأ الجو بروائح عطرة ذكية . .

وبعد فترة من الزمن وصلا إلى قاعدة التلفريك السفلية وهناك استقبلهما بعض العاملين فى القاعدة بالترحاب والتكريم . . وأشارت جولنار إلى القاعدة وقالت :

ـ هذه هى قاعدة التلفريك السفلية يا عزيزى مختار . .

ـ وما هو هذا التلفريك يا عزيزتى جولنار؟

ـ إنه صندوق خشبى بداخله مقعدان وله نوافذ زجاجية ومعلق على سيور حديدية قوية . . وهو يتحرك بالطاقة الكهربائية ويمكنه أن ينقلنا فى الهواء من هذه القاعدة السفلية حتى القاعدة العلوية التى توجد فى أعلى قمة فى الجزيرة وذلك فى يسر وهدوء وبطء يتيح لنا فرصة مشاهدة كل معالم الجزيرة من الهواء . .

ـ يالها من وسيلة انتقال جميلة ومريحة وممتعة . . ولكن أليس هناك خطر يمكن أن يحدث لهذا التلفريك وهو معلق فى الهواء بين السماء والأرض؟

ـ لا تخف يا مختار . . فهناك احتياطات أمن وسلامة عالية المستوى تم اتخاذها فى هذا التلفريك . . ومع هذا فلا يمنع حذر من قدر . . فالحياة مليئة بالمفاجآت والأخطار مهما اتخذنا الحيطة والحذر . . وعلى الإنسان أن يحتاط قدر إمكاناته ثم يتوكل بعد ذلك على الله . .

ـ الحق ما تقولينه يا عزيزتى. .واسمحى أن أقول لك إنه من الأمور التى تزيدنى إعجاباً بك هذا التفكير السليم والإيمان القوى. . .

ـ شكراً على هذا المديح يا مختار. .والآن هيا بنا نركب "التلفريك" ونشاهد المناظر البديعة كما نشاهد معالم الجزيرة من الجو. .

ـ هيا بنا يا عزيزتى جولنار. . .

وركب مختار مع جولنار "التلفريك" وبعد أن جلس كل منهما فى مقعده ثم أغلق الباب وحركت جولنار ذراع التشغيل فإذا بهذا الصندوق العجيب يتحرك بهما على السيور الحديدية مرتفعاً فى الجو ومبتعداً عن الأرض فى سهولة ويسر وهدوء ومتجهاً إلى القاعدة العلوية التى توجد على أعلى قمة فى جزيرة كندهار.

وأخذت جولنار تعرّف مختار معالم الجزيرة التى بدأت تظهر لهما كلما ارتفعا فى الجو فقالت:

ـ انظر. .انظر يا مختار هذه الأشجار الطويلة الرائعة. .إننا نستفيد من بعض أخشابها فى عدة صناعات. .وانظر كذلك إلى هذا المبنى الأبيض اللون. .إنه مبنى الأيرومير الذى يتم فيه تحويل الهواء الغازى إلى هواء مسال بالضغط والتبريد ويعبأ فى أسطوانات حديدية تنقل أولاً بأول إلى مدينة الأعماق "سيموداهور". .

ـ وما هذا المبنى الضخم الأصفر اللون يا عزيزتى جولنار؟

ـ إنه المبنى الخاص بالصناعات الغذائية التى نحتاجها فى مدينة الأعماق وتزرع وتصنّع هنا فى الجزيرة مثل الخضراوات والفواكه واللحوم. .

ـ نعم. .نعم فلقد عرفت من الأخت العزيزة سونيتار أنكم تصنّعون اللّحم من البترول بواسطة كائنات دقيقة للغاية تعرف باسم "البكتريا". .

ـ نعم إننا نفعل ذلك يا مختار.

ـ لقد أكلت من هذا اللّحم الصناعى اللذيذ وتذوقت طعمه فكان رائعاً وشهياً. .

ـ بالهناء والشفاء يا مختار. .وأيضاً فى هذا المصنع يتم تجفيف الخضراوات والفواكه وتعبئتها لتكون صالحة كأطعمة لعدة شهور طويلة. .

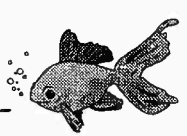

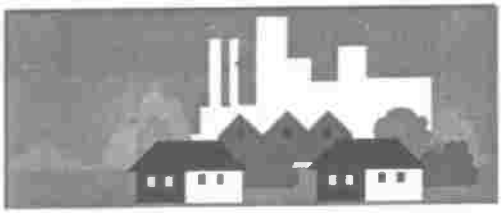

ـ ومـــاذا عن هذا المبنى المـطلى باللون الأزرق . . ؟

ـ هذا المبنى خـاص بالصناعـات المعدنية . . ففيـه تستخلص بعض المعادن من الصخور الجبلية مثل : الحديد والنحاس والألومنيـوم وغيرها . . وجميعها تصنّع منها مواد أساسية فى حياتنا فى أعماق البحار . .

واستـمر "التلفـريك" يعلو فى الجو ويـعلو حاملاً بـداخله الأميرة جـولنار وضيفـها مختار . . والأميـرة تشرح له معالم الجزيرة المخـتلفة ومختار سعـيد بهذه الصحبة وهذه المعرفة، حتى وصلا إلى أعلى قمة فى الجزيرة حيث قاعدة التلفريك العلوية فنزلا من هذا الصـندوق العجـيب حيث اسـتقـبلهـما بعض العـاملين فى القاعدة بكـل سرور وترحاب، ثم تجولا على قـمة الجزيرة ونظرا ليجـدا أن البحر يحيط بالجزيرة من كل الجوانب فقالت جولنار :

ـ نحن الآن يا مـختـار نقف على أعلى قـمة فى جـزيرة كندهار . . وها هى الجزيرة تبدو صغيرة تحت أقدامنا . . وها هو البحر يحيط بها من كل مكان . .

ـ ياله من منظر رائع ومخيف فى نفس الوقت . . ولكننى أود أن أعرف كيف نشأت هذه الجزيرة فى وسط هذا البحر؟

ـ هذه الجزيرة وغيرها من الجزر يا مختار عبارة عن جبال هائلة . .

ـ جبال هائلة!!

ـ نعم جبال هائلة قواعـدها الضخمة ثابتة فى قاع البـحار والمحيطات وقمم هذه الجبـال التى تظهـر فـوق الماء تكـوّن الجـزر التى توجـد فى وسط البـحـار والمحيطات .

ـ مـعنى هذا أن جزيرة كندهار هى الطـرف العلوى لجبل قـاعدته ثابتـة فى أعماق البحر . .

ـ نعم يا عزيزى مختار . .

ـ أى أننا نقف الآن على قمة الجبل المثبت فى قاع البحر . .

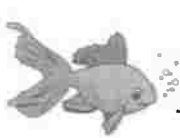

ـ نعم.. نعم.. وتوجد أيضاً بعض الجبال غير العالية لا تظهر على سطح البحر ولا تكون جزرًا حيث يغطيها الماء بأكملها ولا يظهر منها أى جزء..

ـ جبال تحت أعماق البحار يالله العجب!! انظرى يا عزيزتى جولنار الجزء الخلفى المهجور من الجزيرة.. إنه مختلف تماماً عن الجزء الأمامى العامر المتحضر..

ـ نعم يا مختار.. إنه جزء مهجور وموحش من الجزيرة ويصعب تهيئته وتعميره وضمه لباقى الجزيرة وذلك لوعورة الطرق المؤدية إليه وضخامة صخوره وكثرة الزواحف المتوحشة التى تسكنه..

ـ صدقت فيما تقولين يا جولنار.. فلقد تركنى صديقنا "كونيور" على شاطئ هذا الجزء المهجور من الجزيرة.. وما كنت أظنه موحشاً بهذه الدرجة.. ولقد حاولت العبور منه فلم أستطع وكاد ثعبان ضخم أن يقتلنى لولا أن شملنى الله تعالى برعايته وعنايته وأرسل أرنبا برياً ضخماً قضى عليه الثعبان الهائل فى لحظات ثم مالبث أن ابتلعه.. ففررت مسرعاً من أمام هذا الوحش الرهيب..

ـ الحمد لله الذى أنقذك من هذا الثعبان.. ولتعلم يا مختار أن بعض هذه الثعابين الضخمة يمكن لها أن تبتلع حيوانات ضخمة بعد أن تقضى عليها..

فقال مختار فى فزع :

ـ تبتلع حيوانات ضخمة!!

ـ نعم يا عزيزى مختار.. فلقد أخبرنا بعض العاملين فى الجزيرة أنهم عندما كانوا يتجولون فى هذا الجزء المهجور من الجزيرة وجدوا ثعباناً هائلاً يزيد طوله عن عشرة أمتار وقد تمدد جسمه بشكل كبير وغير عادى وعندما قتلوه وجدوه قد ابتلع لتوه ثوراً صغيراً كانت قرونه لا تزال ظاهرة من فم الثعبان..

ـ يالله الفظاعة.. أحمد ربى على أننى نجوت من هذا الثعبان المتوحش وإلاّ كان مصيرى مثل مصير هذا الثور المسكين..

ـ إن هناك أموراً تحدث فى هذه الجزيرة أغرب من الخيال.. هل سمعت قبل الآن يا عزيزى مختار أن السماء قد أمطرت سمكاً؟

ـ السماء تمطر سمكاً !! هذا شيء لا يصدقه عقل . .

ـ لقد حدثت هذه الظاهرة على سكان الجزيرة . .ففى إحدى العواصف الهائلة كانت أمواج البحر عاتية بحيث ترتفع الموجة الواحدة فى الهواء لأكثر من خمسين متراً ومع شدة الرياح وسرعتها الفائقة أدت هذه الرياح إلى حمل موج البحر بما يحمله من أسماك صغيرة وتسقطها على الجزيرة وكأن هذا الموج الهائل قد جاء من السماء وليس من البحر . .فكان المشاهد فى تلك اللحظات العنيفة أن السماء تمطر سمكاً . .

ـ ياللعجب . .صدقت يا عزيزتى جولنار عندما قلت إن هناك أمورا تحدث فى هذه الجزيرة أغرب من الخيال . .

وبعد أن استمتع كل من مختار وجولنار بالمشاهدات الرائعة للجزيرة وماء البحر يحيط بها من كل جانب، ركبا التلفريك من القاعدة العلوية التى تقع على أعلى قمة فى الجزيرة فى طريق العودة إلى القاعدة السفلية لهذا التلفريك . .وهما يتسامران ويتحاوران فى سعادة وبهجة وسرور، ويشاهدان المناظر الطبيعية الخلّابة وكيف تتدفق المياه العذبة وتسرى فى مجراها بين الأشجار ومن خلال الصخور والوديان . .

وقضى مختار مع الأميرة جولنار فى جزيرة كندهار عدة أيام جميلة وممتعة ما بين التنزه فى أرجاء الجزيرة والتعرف على معالمها المختلفة حتى جاءت رسالة إلى الأميرة جولنار من أبيها أمير البحار، وبعد أن قرأت الأميرة الرسالة تبدلت من حالة إلى حالة، فغابت من على وجهها المشرق الجميل تلك الابتسامة الحلوة . . وعندما لاحظ مختار ذلك قال :

ـ أى أخبار تحمل هذه الرسالة وجعلتك تفكرين وتغيب من على وجهك ابتسامتك المشرقة يا سمو الأميرة جولنار؟

ـ إنها رسالة من أبى أمير البحار يخبرنى فيها أنه آن الأوان لتعود إلى بلدتك حيث إن والدك عم صالح فى اشتياق كبير إلى رؤيتك . .

وهنا تذكر مختار كيف ترك والده مريضاً . وكيف غاب عنه طوال هذه الفترة فقال بصوت يملؤه الحنين :

- والدى الحبيب . لكم أنا كذلك فى اشتياق كبير لرؤيته والاطمئنان عليه . .

- ولكننا يا عزيزى مختار سنفترق ثانية . . وما كنت أتمنى ذلك . .

- وأنا أيضاً يا عزيزتى جولنار . . ولكن فى هذه المرة سيرفرف علينا أمل اللقاء مرة آخرى . .

- هذا الأمل يا مختار سأظل أمنى نفسى طوال أيام بعدك عنا فلقد أصبحت بالفعل واحداً منا . . .

- هذا هو نفس شعورى يا جولنار وسأعود إليكم مرة أخرى بإذن الله تعالى . .

- إذاً على بركة الله تذهب لترى والدك وتطمئن عليه ثم تعود إلينا إن شاء الله . .

- إن شاء الله يا جولنار . . إن شاء الله . .

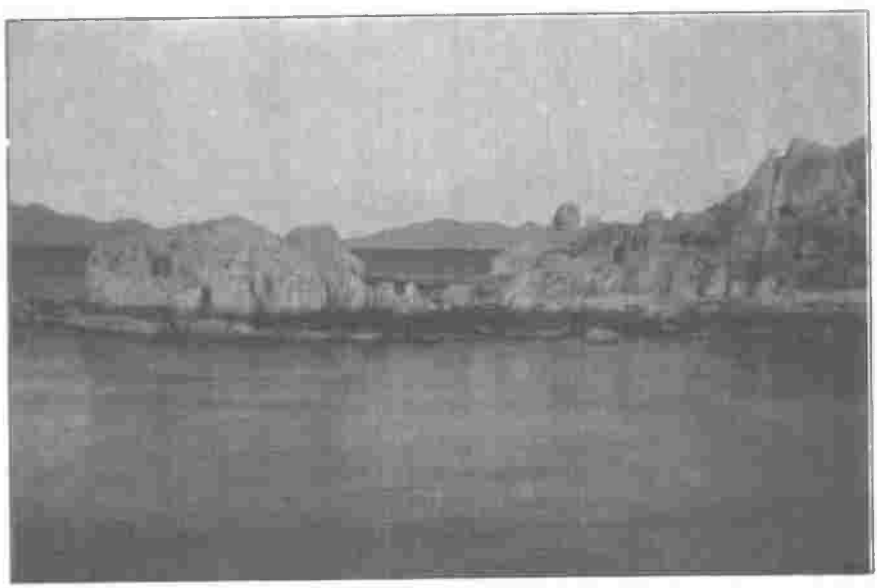

الفصل الحادى عشر
الأمل

فى صباح اليوم التالى استقل مختـار والأميرة جولنار الغواصة "فاروستين" بعد أن ودع سكان جزيرة "كندهار" . ثم مالبـثت الغواصة أن اختفت تحت سطح البحر وظلت تشق أعماقه حتى اقتـربت من شاطئ بلدة مختار فصعدت إلى سطح الماء واستـقرت بجـوار القارب الذى كـان يستقله مـختـار عندما التـقى لأول مرة بالأميرة جولنار . .

ووقفت الأميرة تودع مـختاراً والدموع فى عينيها والحـزن فى نبرات صوتها وقالت :

ـ إلى اللقاء يا عزيزى مختار . .

ـ إلى اللقاء يا عزيزتى جولنار . .

ـ ستعود إلينا مرة أخرى . . أليس كذلك يا مختار . . ؟

ـ إن شاء الله يا جولنار . .

ـ إذن خذ هذا الجهاز . .

وأعطت جولنار لمختار جهازاً صغيراً يشبـه ساعة اليد وله حلقة يمكن تثبيتها فى معصم اليد تماماً مثل ساعة اليد، فقال مختار :

ـ ما هذا الجهاز يا جولنار؟

ـ إنه المشينتار..

ـ المشينتار !! وماذا أفعل به؟

ـ عندما يحين الوقت لتعود إلى مدينة الأعماق "سيموداهور" ما عليك سوى أن تتجه بالقارب إلى داخل البحر ثم تضغط على سطح المشينتار فيرسل ذبذبات موجية تلقتطها أجهزتنا فى مركز المعلومات بالمدينة فنرسل لك على الفور الغواصة "فاروستين" لتنقلك إلينا فى مدينة الأعماق..

ـ أشكرك..أشكرك من صميم قلبى يا جولنار وسوف أحافظ على جهاز المشينتار كمحافظتى على عيونى لأنه السبيل الوحيد لأراك مرة أخرى..

ـ وخذ أيضاً هذا الصندوق يا عزيزى مختار..

ـ أى صندوق هذا..وعلى ماذا يحتوى يا جولنار؟

ـ فى هذا الصندوق الصغير بعض الأحجار الكريمة الغالية أهديها إليك لتستطيع أن تعيش بثمنها أنت ووالدك عم صالح عيشة ميسورة..

ـ أشكرك يا جولنار..ولكن أنا وأبى نعيش عيشة طيبة ونحن راضيان كل الرضا بهذه العيشة وبما قسمه الله لنا..ولسنا فى حاجة إلى ما فى هذا الصندوق..

ـ إذا كنت تريد أن تسعدنى يا مختار..ولا تسبب لى التعاسة فاقبل منى هذه الهدية البسيطة ولا تردها..

وسقطت الدموع من عينى الأميرة جولنار على صفحة وجهها الجميل المشرق وكأنها لؤلؤ قد تساقط من عينيها..فلم يتمالك مختار نفسه ولم يستطع ضبط مشاعره فمرحت الدموع فى عينيه أيضاً وقال :

ـ أرجوكِ ألا تبكى يا عزيزتى جولنار..سأقبل منك هذه الهدية الرائعة ليس لقيمتها المادية ولكن لأنها منك أنت أيتها العزيزة الغالية..

فابتسمت جولنار رغم تساقط دموعها وقالت :

ـ أشكرك يا مختار..أشكرك..ولى رجاء أخير..

ـ ما هو؟

ـ أن يكون ما عرفتـه عن مدينتنا . . مدينة الأعماق "سيـموداهور" وجزيرتنا جزيرة "كندهار" وكل حياتنا تحت البحار سراً لا يعرفه أحد . .

ـ حتى أبى . .

ـ نعم حتى أبوك . . أتعاهدنى على ذلك يا مختار . .

ـ نعم أعاهدك على ذلك يا جولنار . .

ـ إذن . الوداع يا عزيزى . .

ـ لا تقولى الوداع . . بل قولى : إلى اللقاء بإذن الله تعالى . .

ـ إلى اللقاء بإذن الله تعالى يا مختار . .

ـ إلى اللقاء بإذن الله تعالى يا جولنار . .

ونزل مختار من عـلى ظهر الغواصة : "فاروستين" إلـى قاربه وأخذ يحرك المجداف فى مـاء البحر ليـتجه القـارب صوب شاطئ بلدته وجـولنار تلوّح بيدها مودعة مختار والدموع تتساقط من عـينيها . . وفى ترفق أخذ قبطان الغواصة وربانها يد الأميرة جولنار وهبطا سلم الغواصة التى مـا لبثت أن استعدت للغوص فى ماء البحر ومـا هى إلاّ لحظات قصيرة حـتى بدأت الغواصة "فاروسـتين" فى الغوص شيئاً فشيـئاً حتى اختفت تماماً فى أعماق البحار، ومـختار يجدف بالمجداف ويتابع بعينيه اخـتفاء الغواصة التى تحمل الأمـيرة جولنار ولم يدر هل القطرات التى على وجهه من أثر تناثر ماء البحر من حركة المجداف أم هى دموع وداع جولنار . .

وبعد قليل وصل مـختار بقـاربه شاطئ البلدة وكـان الوقت فى أثناء غروب الشمس، فلم يشـعر به أحد من سكان البلدة . . فـتوجه لتوه إلى بيت أبيـه بعد أن ثبّت جهاز المشينتار على معصمـه مثل ساعة اليد وحمل فى يده صندوق الأحجار الكريمـة الغالية . . وعندمـا وصل إلى البيت دق على بابـه الخشبى العـتيق فـسمع صوت أبيه يقول من الداخل .

ـ من بالباب؟

ـ افتح الباب يا أبى العزيز . .

ـ من أنت؟

ـ أنا ولدك مختار يا أبى..

وسمع صياح والده مهلّلاً وهو مقبل على الباب باندفاع قائلاً.

ـ مختار..ولدى..مختار..ولدى..

وعندما فتح عم صالح البـاب ووجد ولده مختار أمامه سليمـاً معافى عانقه بشدة وهو يردد :

ـ ولدى الحبيب مخـتار..ولدى الحبيب مختار..أحـمدك يا ربى..أحمدك ياربى..كنت أشعر أنك ستعود إلى سليماً معافى فالحمد لله..الحمد لله..

ـ أبى الحبيب..أبى الحبيب..لقد اشتقت إليك كثيراً..

وظل الوالد يعانق ولده العـائد من المجهول فترة طويلة يردد كلمـات الحمد والشكر لله رب العالمين..

وبعد هذا الاستقبال الحار.جلس عم صالح بجوار ولده مختار الذى قال له:

ـ هل يمكن أن تقص علىّ ما حدث لك يا أبى العـزيز منذ اليوم الذى غبت عنك فيه..؟

ـ يوم أن غبت عنى يا ولدى الحبـيب وكنت كما تعلم مصـاباً بحمى شديدة أفقدتنى الوعى ولم أشعر بمرور الوقت..وعندما أفقت كان الظلام قد حل وناديت عليك فلم أجدك فتـحاملت على نفسى وأنا فى شدة المرض وأخـذت عصاى كى أتوكأ عليها ومشيت فى ضعف والرعـشة تهز كل جزء من جسدى المريض الواهن حـتى وصلت إلى الشاطئ فلم أجـد القـارب فزادت لوعـتى عليك وخشـيت أن يأخـذك البـحر مـنى وليس لى فى الدنيـا سـواك..فظللت أصـيح وأنادى عليك والدموع تنهمر من عيونى وأقول :

ـ مختار..يا ولدى مختار..عد إلى يا ولدى..

وأنا على هذه الحالة فإذا بشاب غريب ليس من أهل البلدة تبدو عليه سمات السماحة والطيبة والشهامة والصدق..فتقدم منى وقال لى :

ـ أنت عم صالح والد مختار؟

فقلت له متلهفاً :

ـ نعم. .نعم. .إنه أنا وقد ذهب ولدى مختار بالقارب إلى عرض البحر منذ الصباح الباكر ليصطاد سمكاً ولكنه لم يعد حتى الآن. .وأخشى عليه غدر البحر.

فقال لى الشاب يطمئننى عليك :

ـ لا تخش يا عم صالح فمختار ولدك بخير وإن كان سيغيب عنك بعض الوقت ولكن أطمئن فهو عندنا فى الحفظ والصون وسيعود إليك يوماً ما سليماً معافى. .

فقلت له :

ـ عندكم!!من أنت؟ وأين ولدى؟

فقال لى :

ـ أيها الرجل الطيب الصالح. .أقول لك اطمئن تماماً على ولدك مختار . . ولكن هناك أسرار لا أستطيع أن أبوح بها لك. .

فقلت له :

ـ وإن كانت كلماتك ملؤها الصدق والسماحة ولكننى غير مطمئن على ولدى مختار. .

ـ أتريد دليلاً على صدق كلامى. .؟

ـ نعم. .نعم. .أرجوك. .

فأخرج الشاب من جيبه صندوقاً صغيراً له عصا معدنية رفيعة وعندما ضغط على هذا الصندوق إذا بصورتك وأنت تجلس داخل عربة صغيرة وبجوارك فتاة صغيرة رائعة الجمال. .

وقال لى الشاب. .

ـ أليس هذا هو ولدك مختار. .

فقلت متلهفاً :

ـ بلى إنه هو . .

فقال ـ إذًا اطمئن فإنه عندنا أمانة . .

فقلت له ـ عندكم . . هل أنتم جماعة من الجن؟

فابتسم الشاب قائلاً :

ـ لا ياعم صالح . . نحن بشر مثلكم تماماً ولكن لا أستطيع أن أبوح بأسرارنا لأن هناك عهـدا أخذته على نفـسى ألا أبوح بتلك الأسرار . . وسـأظل أزورك بين الحين والآخر لأطمئنك على ولدك مختار حتى يحضر لك . .

وعندما هم الشاب بالانصـراف وقدم يده ليصافحنى شـعر بالحمى تدب فى جسدى بشدة . . فقال :

ـ أنت مريض يا عم صالح . .

ـ نعم يا ولدى نعم . .

ـ إذاً خذ هذه الزجاجـة فهى تحتوى على دواء سائـل . . اشرب قليلاً منه فى الصباح والمساء وستشفى من مرضك بإذن الله تعالى . .

فقال مختار :

ـ وهل أتى الدواء بمفعوله المنتظر يا أبى؟

ـ نعم يا ولدى نعم . . فمـا هى إلا جرعة من الدواء وأخـرى حتى زال عنى المرض بفضل الله تعالى . .

ـ وهل عاد وزارك هذا الشاب مرة أخرى يا أبى؟

ـ نعم يا مختار . . فلقد زارنى هذا الشاب مرتين وطمأننى عليك .

وعندما ألحـحت عليه بأننى مشـتاق إلى رؤيتك ولا أستطيع أن أصـبر على فراقك أكثر من ذلك قال لى الشاب :

ـ باكر يا عـم صالح ـ باكر سـترى ولدك مـختار بإذن الله تعـالى . . ولكن أرجوك ألآ تسألنى ولا تسأله عن أسرارنا . . أتعاهدنى بذلك يا عم صالح . .

فقلت :ـ أعاهدك يا ولدى . . وها أنت قد حضرت كما وعد هذا الشاب ولذلك سأحافظ على عهدى معه ولن أسألك أين كنت يا ولدى طوال هذه الفترة . . ومن هؤلاء الذين كنت عندهم . .

ـ نعم يا أبى العزيز فقد كنت عند أناس غاية فى الطيبة والصلاح والصدق والأمانة وكل الصفات الطيبة التى يجب أن يتحلى بها كل إنسان . . ولكنهم يودون ألا يعرف عنهم أحد من البشر شيئاً كى تظل حياتهم فى نقاء وسعادة وبعيدة عن شرور ومفاسد البشر . . ولذا أخذت أنا أيضاً عهداً على نفسى ألا أبوح بأسرارهم لأحد حتى لك يا أبى العزيز . . فأرجوك أن تسامحنى .

ـ لا عليك يا ولدى . . وتمسك بما وعدت فإن وعد الحر دين عليه المهم عندى أنك رجعت لى بسلامة الله . .

وهنا أظهر مختار الصندوق الذى يحتوى على الأحجار الكريمة غالية الثمن . . هدية الأميرة جولنار له . . وقال :

ـ خذ يا والدى العزيز . . خذ هذا الصندوق . .

ـ أى صندوق هذا يا ولدى؟

ـ لقد أهدانى إياه هؤلاء الناس الطيبون عند وداعى لهم وهو ملىء بأحجار كريمة غالية . . وفى سرور ولهفة فتح عم صالح الصندوق فإذا به يحتوى على كمية من الجواهر والأحجار الكريمة مثل : اللؤلؤ والمرجان والكهرمان والماس وغيرها من الجواهر الجميلة النادرة فقال عم صالح والسعادة تغمره :

ـ الحمد لله . . الحمد لله . . إن هذه الأحجار الكريمة والجواهر الغالية ستجعلنا نعيش حياة ميسورة وتعوضنا عما بذلناه من جهد وعرق فى أيامنا السابقة . .

وفى صباح اليوم التالى ذهب عم صالح ومعه قطعة واحدة من الأحجار الكريمة ليبيعها فى سوق الجواهر والذهب بالبلدة بثمن مرتفع للغاية . . أما مختار فقد ذهب ناحية شاطئ البحر وجلس هناك على صخرة عالية وأرسل ببصره ناحية البحر وهو يتلمس بأصابعه جهاز المشينتار المثبت على معصمه . . ويحدوه الأمل بأن يعود يوماً ما إلى أعماق البحار ليلتقى مرة أخرى بالعزيزة جولنار . .

رقم الإيداع	٩٥ / ٨٥٨٤
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 0775 - 0